



د. عصام سخنيني

مقاتل المسيحيين

نجران ٥٢٣م والقدس ٦١٤م

وصفحات أخرى من تاريخ التنكيل اليهودي بهم

تقديم: الأب رفعت بدر

مقاتل المسيحيين نجران ٥٢٣م والقدس ٦١٤م
وصفحات أخرى من تاريخ التنكيل اليهودي بهم/ تاريخ
د. عصام سخنيني/ باحث من الأردن
الطبعة الأولى، 2013



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب 5460-11 ، هاتفاكس 751438 / 752308 1 00961

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص. ب 9157 ، هاتف 5605432 6 00962 ، هاتفاكس 5685501 6 00962
E-mail : info@airpbooks.com
موقع الدار الألكترونيّ : www.airpbooks.com
تصميم الغلاف: **ديمو برس / بيروت، لبنان**
الصفّ الضوئيّ : **المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر**
التنفيذالطباعيّ : **ديمو برس / بيروت ، لبنان**

ISBN: 978-614-419-277-1



د. عصام سخنيني

مقاتل المسيحيين

نجران ٥٢٣م والقدس ٦١٤م

وصفحات أخرى من تاريخ التنكيل اليهودي بهم

تقديم: الأب رفعت بدر



عرفان

كل الشكر لجامعة البترا ممثلة بعمادة البحث العلمي فيها لدعمها المادي لبعض متطلبات عملية البحث.

كذلك الشكر للأب رفعت بدر، مدير المركز الكاثوليكي للإعلام والدراسات بعمان، لتفضله بقراءة مخطوطة الكتاب وإبدائه بعض الملاحظات التي استفدت منها.

وشكر خاص للمؤسسة العربية للدراسات والنشر ومديرها العام الأستاذ ماهر الكيالي لتبني نشر الكتاب وإخراجه بهذه الصورة اللائقة.

ولا أحمل الجهة الداعمة ولا الأب بدر ولا الناشر مسؤولية ما ورد في هذا الكتاب من آراء فهي من مسؤوليتي وحدي.

وأخيرا ودائما، اعترف بالفضل لزوجتي نعمت التي لولا دعمها المعنوي لي ورعايتها ما كان لهذا الكتاب أن يرى النور، شأنه شأن غيره من أعمالي.

عصام

المحتويات

تقديم

الأب رفعت بدر

رئيس المكتب الكاثوليكي للدراسات والإعلام ـــ عمان

من يراجع سيرة الأستاذ الدكتور عصام محمد سخنيني، ويقرأ مؤلفاته وعناوينها، يعرف مباشرة أنه أمام قامة فكرية رائدة، وأنه مبدع في مجال التأريخ وتسليط الضوء على أحداث تستحق أن تذكر اليوم، ليس للتذكر فحسب، والبكاء على أطلال الماضي، بل لأخذ العبرة لهذه الأيام ولما سيأتي.

الكتاب الحالي الذي شرّفني الدكتور سخنيني بالتقديم له يتحدث عن صفحات، لا أقول حزينة، على الرغم مما فيها من دماء وموت، بل صفحات شكلت بذارا لانتشار ديانة سماوية لم تستطع قوى البطش والظلام أن تئدها في مهدها، بل ما زالت تسير إلى اليوم بتناغم ووئام مع شقيقاتها، ومع كل الناس من ذوي النوايا الحسنة.

يتحدث الكتاب عن "مقاتل" المسيحيين في العصور الأولى، وبخاصة على أيدي اليهود الذين لم يستسيغوا أن تنشأ ديانة جديدة تشكل تهديدا لوجودها. وهكذا مشبعين بعقلية رفض الآخر والرغبة بإلغاء الآخر وإفنائه، عمدوا إلى قتل "المعمدين" والتنكيل بهم في كل من نجران، البلد العزيز الذي حوى بين جنباته العديد من المسيحيين منذ العصور الأولى، وصولا إلى

مدينة القدس الشريف، وهي مركز الديانة المسيحية، وأم الكنائس جميعها، التي شهدت كذلك شتى أصناف التنكيل والمحارق.

تتبعت الكتاب ليس بصفة المراقب للعقائد المذكورة، وإنما بنهم الجائع والعطش إلى معرفة الجذور ليس فقط للمسيحية وإنما أيضا للعربية. وليس هناك من تناقض في الفخر ما بين كون الإنسان عربيا وكونه مسيحيا في آن واحد. وهو أمر لربما يشكل رسالة تعزية وتشجيع إلى مسيحيي اليوم الذين ما زالوا في المشرق العربي يضربون مثلا تلو المثل في العيش المشترك مع إخوتهم المسلمين، مهما تعرضوا له أحيانا من أعمال تهجير على أيدي اليهود ذاتهم، كما في القدس وسائر القرى والمدن الفلسطينية، أو كذلك على أيدي أفراد وفئات تعادي المجتمع ككل، وتلبس رداء الدين وهو منها براء.

ومع السير في الكتاب من صفحة إلى أخرى، ومن قطرة دم إلى أخرى، وبين مظاهر التنكيل والرغبة في الإفناء، تسطع رُهم بنت أزمع، المرأة الفولاذية والأرملة المتحلية بألوان الصبر والإيمان، والتي قتل زوجها في نجران على مرأى منها وبناتها الثلاث، وقبل ذهابها إلى الموت راضية مرضية، تنطق بخطبة، تنشر لأول مرة بالعربية، قل نظير جرأتها. ويا ليت "لاعنفها" يكون حافزا لعصرنا الحالي في أن تكون هذه السياسة دعوة إلى وقف إراقة الدماء والعنف من أي طرف، وبالأخص تلك التي ترتكب باسم الدين وفي النظر إلى أتباع أي دين آخر على أنهم أعداء، عوضا عن حقيقة كونهم أصدقاء، بل إخوة وأخوات، يعملون جنبا إلى جنب في خدمة المجتمعات العربية، بل والإنسانية جمعاء.

ألف تحية للصديق الدكتور سخنيني. وإنني وفيما أقدم لكتابه الجديـد الرائع لأشكره على تواضعه أولا، وعلى غزارة فكره، وعلى حيادية تأريخه، وعلى سعة علمه، وعلى جرأة مؤلفاته.

باركه الله تعالى، وبارك مسعاه، وكلل أمنياته وأمنيات قرائه وطلابه بالنعم والخيرات.

مدخل

خطرت فكرة هذا الكتاب أول مرة عندما كنت أشتغل على دراسة عن عهد إيلياء (أو العهدة العمرية) الذي استسلمت القدس بموجبه صلحا للخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب[1]. وكان أحد الأسئلة المطروحة في تلك الدراسة عن النص الوارد في ذلك العهد على التعهد بـ"ألا يسكن بإيلياء معهم [مع أهل إيلياء أو القدس] أحد من اليهود". وكان هذا النص في تقديري آنذاك، وهو ما بينته في الدراسة، أحد الأسباب التي أدت إلى التشكيك في "العهدة"، بل رفض تاريخيتها من جانب بعض المستشرقين وبعض من تبعهم من المشتغلين العرب في التأريخ العربي ـ الإسلامي، تحت ذريعة أن هذا النص ليس له مثيل في غير ذلك العهد من عهود الصلح التي أصدرها المسلمون لأهالي الأمصار الأخرى التي تغلبوا عليها. وربما كان رفض هذا النص أيضا، أو التشكيك فيه في أحسن الأحوال، نتيجة موقف سياسي "مجامل" للإسرائيليين في الزمن الحالي وهم الذين فرضوا أنفسهم بالقوة على القدس وسكنوها.

---

(١) نشرت الدراسة أولا كما يلي: "العهدة العمرية: حقائق التاريخ ضد الافتراضات والشكوك"، مجلة **البصائر** (جامعة البترا)، المجلد ٣، العدد ١ (آذار ١٩٩٩)، ثم شملها كتابي: **عهد إيلياء والشروط العمرية: نموذج تطبيقي لاستخدام أدوات التفكيك في تصحيح التاريخ الإسلامي** (عمان: دار المناهج، ٢٠٠١).

إلا أن منهج النقد التاريخي الذي أخضعت له تلك الوثيقة أوصلني إلى اليقين بتاريخيتها، بما فيها ذلك النص عن اليهود. كذلك توصلت إلى أن هذا النص كان قد أُدخل في "العهدة" بطلب من صفرونيوس، بطريرك إيلياء (القدس) آنذاك، الذي مثل أهلها المسيحيين في التفاوض على شروط استسلام المدينة، وكانت "العهدة" موجهة إليه.

وقد أسندت هذه النتيجة الأخيرة إلى افتراض علمي رأيته صحيحا هو أن صفرونيوس بطلبه منع اليهود عن المدينة كان لتجنيب أهلها المسيحيين مصيرا كانوا قد لاقوه من قبل في المجزرة التي ارتكبها اليهود فيها، برعاية من الفرس، وذهب ضحيتها آلاف عدة من السكان. كانت المجزة قد حدثت سنة ٦١٤م، أي قبل نحو من ٢٣ سنة فقط، من استسلام القدس للخليفة عمر (١٦هـ/ ٦٣٧م). وقد عاصر صفرونيوس تلك المجزرة، ورثى سكانها في بعض شعره، وكانت ذكراها المروعة لا تزال حية في ذهنه، وأذهان مواطنيه المسيحيين من سكان المدينة، فجاء الإصرار على "ألا يساكنهم فيها أحد من اليهود"، درءا لوقوع جريمة أخرى من جانبهم. وإلى جانب ذلك، فقد كان منع اليهود من السكنى في المدينة إقرارا بأمر واقع ماثل في أن هرقل، الإمبراطور الروماني، الذي خلص القدس من الاحتلال الفارسي بعد المجزرة المذكورة ومن جرائم اليهود فيها، كان قد أصدر أمرا بعيد دخوله المدينة يحظر على اليهود الاقتراب منها (وهو ما سنبينه في الفصل الرابع أدناه).

على كل حال، كنت قد أشرت في دراستي تلك بإيجاز إلى تلك المجزرة، بما يخدم أغراض الدراسة، ثم عدت إليها ــ بعد فترة انقطاع شغلت فيها بدراسات أخرى ــ لأبحث فيها بالتفصيل مستندا إلى مصادرها الأولية التي سجلت ما حدث في تلك المجزرة الفظيعة.

وقد طرح علي البحث في مجزرة القدس سؤالا عما إذا كانت هذه المجزرة، التي تعرض فيها المسيحيون إلى مثل هذا الفعل الفظيع على أيدي اليهود، حادثة منفصلة في التاريخ أم لها ما سبقها. وقد أظهر البحث أن مجزرة القدس كانت الحلقة الأكثر دموية في سلسلة من الجرائم كان قد ارتكبها اليهود بحق المسيحيين وكانت بمثابة مقدمات لتلك المجزرة. كما أعادني تتبع هذه السلسلة إلى مجزرة أخرى، لا تقل بشاعة عن مجزرة القدس، وكانت سبقتها بنحو من تسعين سنة، وقد وقعت في نجران (في جنوب الجزيرة العربية) سنة ٥٢٣م.

وكان ماثلا أمامي، وأنا أبحث عن حقائق هاتين المجزرتين وما بينهما من جرائم أخرى أقل حجما، الصورة التي روجتها الصهيونية عن شخصية اليهودي الواقع على مدى تاريخه تحت الاضطهاد لغير ذنب جناه إلا أنه يهودي. فاليهودي يظهر دائما على أنه "الضحية" تحت سكين "الجلاد"، متسما بالبراءة والوداعة والمسالمة. فالمؤرخ البريطاني وليام ليكي William Lecky (١٨٣٥-١٩٠٣) يصف اليهودي بأنه "كائن مسالم بطبيعته ويرتعب خاصة من الدم"[1]. وقد وجدت هذه الصورة "البريئة" صدى في ما كتبه الفيلسوف الوجودي الفرنسي جان بول سارتر في كتابه عن المسألة اليهودية، إذ يدعي بأنّ

(1) Quoted in: Elliott Horowitz, "The Vengeance of the Jews was Stronger than their Avarice: Modern Historian and the Persian Conquest of Jerusalem in 614", *Jewish Social Studies*, Vol. 4, Issue 2 (Winter 1998), p. 4.

"اليهود هم ألطف الناس، وهم معادون بكل عواطفهم للعنف. وإن هذا اللطف الذي يتمسكون به وهم في وسط أكثر عمليات الاضطهاد وحشية، وذلك الإحساس بالعدالة والتعقل الذي يجعلونه وسيلتهم الوحيدة للدفاع عن أنفسهم إزاء المجتمع المعادي والوحشي والظالم ربما يكون كل ذلك هو أفضل أجزاء رسالتهم الموجهة إلينا، كما هو العلامة الحقيقية الدالة على عظمتهم"[١].

أما الكاتب الإسرائيلي راوول هيلبرغ Raul Hilberg (١٩٦١) فيريدنا أن نصدق بأنّ

"الهجمات الوقائية والمقاومة المسلحة وأعمال الانتقام تغيب بشكل كامل تقريبا عن تاريخ المنفى اليهودي طوال ألفي سنة. أما حوادث المعارضة العنيفة التي يمكن العثور عليها في كتاب التاريخ هذا أو ذاك فهي حوادث شاذة وعرضية"[٢].

ولأن الأمر كذلك، يُغيّب عن هذا التاريخ الطويل، وفي أحسن الأحوال يظهر مبتسرا وعلى استحياء، ما قام به اليهود أنفسهم من جرائم في حق الآخرين عندما كانوا يجدون أنفسهم قادرين عليها. غير أن القراءة المتبصرة في التاريخ سرعان ما تكشف صفحات عديدة حالكة السواد عناوينها الرئيسية هي ما ارتكبه اليهود من فظائع

---

(1) Jean-Paul Sartre, Anti-Semite and Jew, trans. G.J. Becker (New York, 1948), p. 117.

وكان الكتاب قد صدر بالفرنسية سنة ١٩٤٦ بعنوان: Reflexions sur la question juive (تأملات في المسألة اليهودية).

(2) Raul Hilberg, *The Destruction of the European Jews* (Chicago, 1961), quoted in Horowitz, *op. cit*, p. 6.

ذهب ضحيتها الآلاف، وأحيانا عشرات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، كما سيبين البحث في فصولنا اللاحقة.

وقد خصصنا هذا الكتاب للجرائم التي تعرض لها المسيحيون تحديدا على أيدي اليهود في التاريخ القديم. ولأن الأمر كذلك، فقد فردنا الفصل الأول منه لدراسة موقف اليهود من المسيحية، وهو موقف كان يتسم بالكراهية والحقد، وهما وحدهما كفيلان بتفسير تلك الهمجية التي كانت تتصف بها أعمال القتل والتدمير التي كان قد تعرض لها المسيحيون. فالكراهية التي ترقى في التراث اليهودي إلى مستوى "المقدس الديني" كانت هي القوة الدافعة والمحفزة التي كانت خلف هذا النوع من العنف الدموي المدمّر، الذي كان يأخذ في طريقه الرجال والنساء والأطفال دون تمييز.

كذلك فإن ما يلفت الانتباه في المجازر التي كان يتعرض لها المسيحيون على أيدي اليهود أنها كانت تجري بتواطؤ، سافر أحيانا وضمني أحيانا أخرى، ما بين اليهود والفرس، أو تحت المظلة الفارسية. وهذا ما دفعنا إلى تخصيص فصل في الكتاب (الفصل الثاني منه) لدراسة نوع العلاقة ما بين الطرفين وانعكاساتها في المجازر التي نفذت. ونرى في هذا، دون استباق للأمور، أن كثيرا من تلك المجازر ما كان يمكن أن تكون دون وجود هذا التواطؤ ما بين الطرفين.

أما الفصل الثالث فخصصناه للمجزرة التي ارتكبها اليهود بحق المسيحيين في جنوب الجزيرة العربية سنة ٥٢٣م، والتي تعرف عادة بمحرقة نجران لاستخدام النار فيها في حرق الضحايا وهم أحياء.

والفصل الرابع جعلناه لمجزرة القدس سنة ٦١٤م والتي اقترف اليهود جريمتهم بحق المسيحيين بالتواطؤ المكشوف مع الفرس الذين كانوا قد احتلوا المدينة آنذاك.

وقد رأينا، في خاتمة الكتاب، أن تلك المجازر التي اقترفها اليهود على المدى التاريخي الذي جعلناه إطارا زمنيا لبحثنا ينطبق عليها مصطلح إبادة الجنس أو الإبادة الجماعية بصيغته النظرية وتطبيقاته العملية.

أما مصادرنا في هذا الكتاب فكثير منها مصادر أولية (مواد وثائقية) تعود إلى زمن وقوع الحوادث التي سوف يجيء ذكرها، أو إلى زمن قريب منه (وهي التي سوف يشار إليها تفصيلا في ثنايا الكتاب)، دون أن نهمل غيرها من المصادر والمراجع التي تضيء جوانب مختلفة من صيرورة الحادثة وتطورها.

الفصل الأول

المسيحية
في مرمى الاضطهاد اليهودي
التاريخ المبكر

مقدمة إطارية

كسبت المسيحية في عهد السيد المسيح نفسه مواقع متقدمة على حساب اليهودية. وكان أكثر هذه المكاسب أهمية تحول أعداد متزايدة من اليهود إلى المسيحية، التي نعني بها ــ حتى ذلك الوقت ــ الإيمان بأن يسوع[1] هو فعلا المسيح. ويشار إلى هؤلاء المتحولين عادة بتعبير "اليهود المسيحيون" Jewish Christians or Judeo-Christians الذي يلاحظ أنه يتكرر كثيرا في الأدبيات الحديثة[2].

وبغير شك كان الكهنة اليهود يدركون حجم هذه المكاسب وأهمتيها، وهي كانت تمثل تهديدا لهم ولليهودية بشكل عام. وقد زاد من خطورة هذا التهديد أن سلوكية المسيح، كما تبين سيرته المسجلة في الأناجيل، كانت تتصف بالاقتحام والتحدي والإمساك بزمام المبادرة والهجوم. وقد وصلت هذه السلوكية بهذه الصفات ذروتها

---

(١) سوف نستخدم على امتداد هذا الفصل كلمة "يسوع" للدلالة على هذا النبي عليه السلام الذي يرد ذكره في التراث الإسلامي باسم "عيسى"، وذلك لكي نظل في السياق التاريخي الذي ورد فيه الاسم بهذا الرسم.

(٢) نقبل هذا التعبير فقط في ضوء معنى محدد يدل على اليهود الذين تحولوا إلى المسيحية دون أن نحمّل التعبير أي معنى آخر يتعلق بالمضامين العقائدية والفقهية.

عندما كان يتصدى لليهود في "الهيكل"[1] نفسه مما كان يضعه في حالة مواجهة معهم في عقر دارهم. وهذا ما كان يدفعهم غير مرة إلى التفكير بقتله:

"كان يعلم كل يوم في الهيكل، وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه، ولم يجدوا ما يفعلون، لأن الشعب كله كان متعلقا به ويسمع منه"[2].

غير أن اليهود تمكنوا من تسجيل نصر على المسيح من خلال الضغوط التي مارسوها على السلطات الرومانية والتي انتهت بصلبه، حسب الروايات المسيحية[3]، وهو ما فاخر به اليهود بأن نسبوه

---

(١) نخالف الحكايات التوراتية عن "الهيكل" إذ تبين الدراسات العلمية التاريخية الحديثة، خاصة علم الآثار، أن "الهيكل" الأول الذي زعم أن النبي سليمان كان قد بناه هو أسطورة غير محققة، ومثله "الهيكل" الثاني الذي زعم أنه بني على أنقاض الأول سنة ٥١٦ق.م. أما ما يزعم أنه أساسات هذين "الهيكلين" فقد توفرت أدلة علمية على أنها جزء من أساسات معبد روماني أقامه الحاكم في أورشليم تحت حكم الرومان هيرود الكبير في سنة ١٩ ق.م. وقد خصصه هيرود للألهة الرومانية، مع جناح منه جعله ليمارس اليهود طقوسهم فيه. وهكذا فإن ما جاء في النصوص الإنجيلية عن "الهيكل" لم يكن إلا معبدا دينيا لليهود شأنه شأن المعابد الدينية للديانات الأخرى في المنطقة. لمزيد من التفاصيل حول مزاعم "الهيكل" انظر كتابنا: **القدس: تاريخ مختطف وآثار مزورة** (عمان: اللجنة الملكية لشؤون القدس، ٢٠٠٩).

(٢) إنجيل لوقا ١٩: ٤٧–٤٨.

(٣) ذلك ما يدخل في صلب العقيدة المسيحية، غير أنه يختلف عما هو في القرآن الكريم بأنه لم يتم صلب المسيح بنص الآية الكريمة (١٥٧ من سورة النساء): "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم"؛ وأيضا بنص الآية الكريمة (٥٥ من سورة آل عمران): "إذ قال←

إلى أنفسهم بادعاء أنهم هم الذين قتلوه بالشنق (كما سوف نبين فيما بعد تحت عنوان صورة المسيح في التلمود[1] في هذا الفصل).

غير أن الغياب الأرضي للمسيح (الذي تقره العقيدة الإسلامية أيضا) لم يمنع المسيحية من التقدم لتحقيق مكاسب إضافية. فإذا كانت المسيحية قد عملت في البداية في الوسط اليهودي على الأغلب فقد انطلقت بعد المسيح لتخاطب الوثنيين أيضا، الذين أخذت أعداد كبيرة منهم يدخلون في إطار رسالتها. وإلى جانب ذلك، فقد خرجت المسيحية من نطاقها الجغرافي المحدود بالإطار الفلسطيني إلى آفاق عالمية بفضل الرحلات التبشيرية التي قام بها الرسل (تلاميذ المسيح)، والتي أخذتهم إلى سوريا وجنوب الأناضول وغربه وقبرص واليونان ومناطق في البلقان وصولا إلى روما.

كل ذلك حدث خلال عقود قليلة بعد غياب المسيح، كانت اليهودية خلالها تستشعر الخطر الداهم الذي يتهددها من جانب المسيحية، خاصة مع تلك السمة التي اتصفت بها المسيحية الماثلة في

← الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي"، والتي فسرت على غير وجه: بأن الله تعالى توفاه من الدنيا ومن الأرض وليس وفاة موت، أو أنه قبضه من الدنيا، أو أن الوفاة بمعنى النوم، أو بمعنى الموت. ولكن في جميع الأحوال ليس بالرواية المسيحية عن الصلب.

(١) التلمود هو مجموعة التفسيرات والشروح والاجتهادات والفتاوى الدينية وقواعد الشريعة وتفصيلاتها التي سنها كبار كهنة اليهود وعلماؤهم، وقد جمعت على مدى طويل ما بين القرنين الأول والخامس الميلاديين. والتلمود اثنان: التلمودي البابلي الذي جمع في العراق والتلمود الأورشليمي الذي جمع في فلسطين. والاثنان يلتقيان في كثير من نصوصهما وإن كان الأول منهما أكثر تفصيلا من الثاني.

الاقتحام والهجوم اللذين عوضا اختلال الميزان العددي ما بين القلة المسيحية والكثرة اليهودية، حتى ليمكن القول بأن القلة كانت تحاصر الكثرة.

إزاء ذلك، لجأت اليهودية إلى وسائل مختلفة في صراعها مع المسيحية. فقد قامت بحملة عقائدية شرسة على المسيح والمسيحية بشكل عام، استهدفت منها تشويه صورة المسيح ورسالته، وهو ما سنعرضه تفصيلا بالبحث عن صورة المسيح كما جاءت في التلمود، وفي ما سميناه التاريخ المضاد لتاريخ السيد المسيح. وما نراه صحيحا أن معالم هذه الصورة المشوهة قد رسمت، بخطوطها الرئيسية، في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية التي تعانق المئة والخمسين السنة الأولى من بداية المسيحية، وإن كانت قد توسعت وتنوعت في مراحل لاحقة.

وغير ذلك، مارست اليهودية العنف المادي للتخلص من خصومها قبل أن يتمادى خطرهم. وقد شمل ذلك عمليات القتل الفردي الموجهة إلى أبرز رموز المسيحية، وحملات اضطهاد جماعي كانت تجري على مراحل تاريخية مختلفة. ومن الملاحظ أن عمليات العنف المادي هذه، في تلك الفترة المبكرة، إن كان اليهود يقومون بها بأنفسهم، فإن بعضها كان يجري بتحريض من اليهود وبتنفيذ من السلطات الرومانية.

وفيما يلي نعرض لأهم معالم هذه المرحلة.

الكراهية اليهودية

اتصف الموقف اليهودي من المسيحيين، منذ بداية الدعوة المسيحية، بدفق كبير من الكراهية والمقت. وقد لاحظ باحث أن اليهود

> "كانوا يعدون المسيحيين أنجاسا من غير المسموح لليهود شرعا أن يختلطوا بهم. وهم أعداء الله وأعداء شعبه. ويمتنع على اليهود أن يشيروا عليهم في أي أمر، وإن سألوا عن شأن إلهي فينبغي أن تصب عليهم اللعنة. أما الأبناء من زيجات مختلطة [ما بين اليهود والمسيحيين] فهم أبناء زنا غير شرعيين"[١].

وتتكشف الكراهية اليهودية للمسيحيين في نص يعرف باسم "بِرْكَتْ هامينيم" Birkat ha-Minim. يعود إلى أواخر القرن الأول الميلادي يصب اللعنات على المسيحيين، وقد جعله الكهنة واجب التلاوة ثلاث مرات في اليوم، في صلوات اليهود اليومية الثلاث. وقبل إيراد النص كاملا يحسن إبداء بعض التفسيرات والملاحظات.

كلمة "بركت" تعني بركة أو دعاء، بينما "هامينيم" مكونة من "ها" وهي أداة التعريف العبرية، و"مينيم" (جمع "مين") التي تعني أيا من المعاني التالية أو هي مجتمعة (حسب استخدام الكهنة لها): هراطقة، أشرار، مذنبون، منشقون، مرتدون عن الدين، مفترون

---

(1) H. Porter, "Gentiles", *International Standard Bible Encyclopedia,* as maintained on: www.bible-history.com

ووشاة. ولكن في جميع الأحوال كان المسيحيون هم المقصودين بهذا التعبير[1]. وهكذا فإن "بركت هامينيم" هو دعاء على المسيحيين، الذين كانوا يسمون في التراث اليهودي بـ"نوتسريم" notzerim، أو الناصريين نسبة إلى مدينة الناصرة في فلسطين. ويذكر التلمود[2] أن الصيغة الأولى لهذا الدعاء كانت بإشراف الحاخام جملئيل Gamaliel في اجتماع في مركز السنهدرين في جبنه حضره مئة وعشرون من الحكماء الذين كان منهم أنبياء عديدون، وأنه تم في هذا الاجتماع صياغة ثمانية عشر دعاء منها هذا الدعاء[3]. وللتوضيح، فقد توفي جملئيل هذا سنة ١١٨م، والسنهدرين هو المجلس الأعلى لليهودية، أو المحكمة اليهودية العليا، وجبنه Jabneh بلدة فلسطينية قديمة عرفت منذ زمن الفلسطينيين القدامى، وهي تعرف كذلك باسم جمنيا Jamnia وقد اتخذها اليهود بعد عام ٧٠م مقرا للسنهدرين. وهي قرية يبنة

---

(1) Philip S. Alexander, "The Parting of the Ways from Perspective of Rabbinic Judaism", in James D.G. Dunn (editor), *Jews and Christians: The Parting of Ways A.D. 70 to 135* (Grand Rapids, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1999), p. 8.

(٢) سوف نعود في هذا الفصل إلى النسخة الإنجليزية التالية من التلمود البابلي:

Soncino Babylonian Talmud, Translated into English with notes, glossary and indices under the editorship of Rabbi Dr. I. Epstein (London: the London Press, nd) as maintained on: www.Halakhah.com.

وعند الاقتباس سوف نذكر Babylonian Talmud = BT متبوعا باسم الفصل (أو ما يعرف عادة بـ tractate) فرقم الورقة أو الصفحة في الفصل التي تعرف عادة بـ folio.

(3) BT: Megilah, folio 17B.

العربية التي تقع على بعد خمسة وعشرين كيلـومترا إلـى الجنـوب مـن يافا وعلى مسافة نحو ثمانية كيلومترات عن ساحل البحر المتوسط.

وقد تضمنت الصيغة الأولى من هذا "الـدعاء" ذكـر الــ"مينـيم" وهي الكلمة التي أشرنا إلى معانيها أعـلاه والتـي كـان المـسيحيون هـم المقصودين بهـا. غيـر أن الـدعاء تطـوّر ليـشمل الـنص المـسيحيين notzrim قبل ذكر الــ "المينيم" وكأنما أراد الكهنـة أن يؤكـدوا المقـصود بــ"المنيم". أما نص هـذا الـدعاء فهـو موجـه إلـى الله حيـث يـدعوه اليهودي:

> "لا تبق أي أمل للمرتدين إن لم يعـودوا إلـى توراتـك، وعـسى أن تقتلع السلطة المتغطرسة سريعا في أيامنـا هـذه، وعـسى أن يفنـى النوتسريم والمينيم في الحـال، وأن يـشطبوا مـن كتـاب الحيـاة، وألا تكتب أسماؤهم مع الصالحين. تباركت يـا رب يـا مـن تـذل المتغطرسين"[1].

صورة المسيح في التلمود

إن تلطيخ أي من رمـوز الخـصم وتـشويه صـورته همـا مـن الوسائل الشائعة في الصراعات السياسية والدينيـة، أكـان الرمـز شخـصا أم مؤسسة أم حتى فكرة يعتز بهـا الخـصم ويمجـدها. وتلطـيخ صـورة رموز الخصم له غير وظيفة وغايـة، فهـو جـزء مـن تحطـيم الخـصم

---

(1) Yaakov Y. Teppler, *Birkat haMinim: Jews and Christian in Conflict in the Ancient World,* trans. by Susan Weingarten (Tubingen, Germany: Mohr Siebeck, 2007), p. 23.

بتحطيم رموزه الدالة على كينونته، وهو أيضا أداة بيد من يقومون بالتشويه يحشدون بها الأنصار ضد هذا الخصم الملطخ بالرذائل، وتعبئتهم نفسيا، وربما أيديولوجيا، بكراهية الخصم التي تصل إلى حد القضاء عليه واستئصاله.

والسيد المسيح هو الرمز الأعلى للمسيحية والذي تتكثف فيه رسالتها وكل قيمها ومعتقداتها. ولأنه كذلك فقد عملت الآلة الكهنوتية اليهودية على رسم صورة له على غاية من القبح الفظيع، إذ بذلك يكون مدخلها المثالي لإضفاء قبح مماثل على تلك الرسالة والقيم والمعتقدات. وقد نهض منشئو التلمود ومحرّروه بمهمة تسجيل معالم هذه الصورة، نقلا عن كبار الكهنة والعلماء اليهود، ونشروا في تضاعيفه تفصيلات عديدة عنها منها ما كان بعضها يتضارب مع البعض الآخر، ولكنها جميعا تصب في اتجاه واحد هو "شيطنة" صاحب الرسالة.

يرد اسم المسيح في التلمود برسم يشو Yeshu (وهو الاسم الذي يرسم بالعربية "يسوع"، وبالإنجليزية Jesus)، ويلحق أحيانا بلقب نوتسري Notzri (الناصري نسبة إلى الناصرة). غير أن هذا الاسم يختفي كثيرا في نوع من الحط من قيمة صاحبه بتجاهل اسمه، إذ نرى في بعض الأحيان أن التلمود يشير إلى المسيح، دون أن يسميه، بتعبير "ذلك الرجل"[1]، وبتعبير "ذلك الشخص المعين"[2]. غير أن الأكثر

---

(1) BT: Abodah Zerah, folio 6a.

(2) BT: Chagigah, folio 4b.

شيوعا من ذلك هو تسمية المسيح "ابن ستادا" ben Stada أو "ابن باندير ا/ بانثير ا" ben Pandera/ Panthera.

ونقرأ في التلمود حكاية هذا الاسم المزعوم بأن أم يسوع كان اسمها مِريام (مريم) وكان اسم زوجها ستادا، وقد خانت مريام هذا الزوج مع عشيقها باندير ا فولدت منه يسوع[1]. وسوف نورد في جزء تال من هذا الفصل تفصيلات أوفى عن هذه الحكاية، التي من الواضح أنها كانت ردا على العقيدة القائلة بعذرية السيدة مريم وبأن المسيح ولد من روح الله، كما هي قذف السيد المسيح بتهمة أنه ابن زنا، وأن أمه عاهرة.

ويحسن أن نلاحظ أن الحكاية، أو ما هو شبيه بها، كانت شائعة في الأوساط اليهودية، وأقدم ما يمكن تتبعه في ذلك يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، وذلك في كتاب للمؤرخ والفيلسوف اليوناني (الوثني والمقيم في الإسكندرية) سلسيوس Celsus بعنوان Alethes Logos (الكلمة الصادقة) وقد خصصه للرد على المسيحية. ويستشهد سلسيوس في كتابه بأقوال يهود، ومنهم واحد يقول إن أم يسوع امرأة قروية فقيرة تكسب قوتها من عملها في الغَزْل، وكان زوجها نجارا، وقد خانت زوجها مع جندي روماني اسمه باندير ا، فطردها زوجها ، فتشردت إلى أن وضعت ابنها من باندير ا سرا[2].

---

(1) BT: Sanhedrin, folio 67a.

(2) Peter Schafer, *Jesus in the Talmud* (Princeton University Press, 2007), pp. 18-19.

وغير اتهامه بأنه ابن زنا، فقد قذف التلمود المسيح بأنه كان يتعاطى السحر وقد تعلمه عندما كان في مصر، وبأنه كان يعبد حجرا صنعه، وبذلك فهو متهم بأنه ضلل بني إسرائيل وحرفهم عن الطريق القويم[1]. ويذكر أن يسوع (ابن ستادا كما جاء) تمكن من تهريب طلاسم السحر من مصر بأن نقشها على لحمه، وبذلك فقد "كان أحمق ولا يمكن أن نأخذ البراهين من الحمقى" كما نص التلمود على ذلك[2].

أما نهاية السيد المسيح على الأرض فيورد التلمود حكاية تختلف تماما عن الرواية التي جاءت في الأناجيل المسيحية. فالرواية المسيحية عن هذه الحادثة[3] تذكر أن الكهنة اليهود ومن معهم من أتباعهم، تغلبوا على المسيح بالقوة وسلموه إلى بيلاطس البنطي حاكم أورشليم الروماني وطالبوه بصلبه. وقد أجرى بيلاطس شبه محاكمة للمسيح تبين له فيها أنه بريء من التهم التي وجهها له اليهود وحاول إقناعهم بإطلاق سراحه. إلا أن الكهنة ومن معهم من اليهود أخذوا بالضغط عليه مطالبين بصلبه، فأعلن بيلاطس أنه "بريء من دم هذا البار" فصرخ اليهود "دمه علينا وعلى أولادنا". وهكذا أسلمه بيلاطس للصلب.

غير أن الحكاية التلمودية عن الحادثة تحصر عملية قتل المسيح باليهود أنفسهم ويغيب عنها دور الحاكم الروماني بكل

---

(1) BT: Sanhedrin, folio 107b.

(2) BT: Sabbath, folio 104b.

(٣) كما جاءت على سبيل المثال في الإصحاحين ٢٦ و٢٧ من إنجيل متى.

تفصيلاته، وتستبدل "المحاكمة" التي عقدها بيلاطس له بمحاكمة أخرى عقدها له الكهنة، وكانت نهايته أن رجم وشنق ولم يصلب حسب الرواية المسيحية. تقول الحكاية التلمودية:

"لقد شنق يسوع عشية عيد الفصح. وقبل تنفيذ الإعدام، وعلى مدى أربعين يوما، انطلق منادٍ ينادي صارخا: "إنه سوف يرجم لأنه مارس السحر وحرض إسرائيل على الارتداد عن الدين. فمن كان لديه شيء يقوله لمصلحته فليأت وليشهد له بذلك". وبما أنه لم يتقدم أحد بأي شيء لمصلحته فقد شنق عشية عيد الفصح"[1].

التاريخ المضاد لتاريخ المسيح

التاريخ المضاد counter-history هو جنس من الكتابة التاريخية يلجأ إليه المتخاصمون في صراعاتهم على موضوعات تاريخية يقوم طرف فيها بتشويه تاريخ خصمه وتحطيمه. والطريقة المتبعة فيه تسير بأن يستعير أحد الخصوم بعض موضوعات خصمه كما يرويها هو ويعيد صياغتها صياغة مشوهة، ويضيف إليها أحيانا إضافات مخترعة، بحيث تخرج عن الهدف والمعنى اللذين تقصدتهما الرواية. والغاية القصوى التي يسعى إليها التاريخ المضاد هي تدمير صورة الخصم كما يراها هو لنفسه، وتحطيم هويته من خلال تخريب ذاكرته.

---

(1) BT: Sanhedrin, folio 43a.

وتاريخ السيد المسيح تعرض لهذا النوع من التاريخ المضاد على أيدي اليهود. وإذا كانت الأمثلة التي ذكرناها أعلاه عن صورة المسيح المشوهة في التلمود تذهب في هذا الاتجاه فإن هناك نصا على غاية من الأهمية، كتبه يهود، يقدم بتفصيل نموذجا كاملا للكيفية التي صيغ فيها هذا التاريخ المضاد.

النص كتاب صغير بعنوان "كتاب ترجمة حياة يسوع" (سيفر توليدوت يشوع Sefer Toledot Yeshu) يعود إلى القرن الرابع الميلادي، وهو مجهول المؤلف لكن يتأكد مما حواه هذا الكتاب أنه من صنع أحد الكهنة اليهود. وقد كتب بالأصل باللغة الآرامية التي كانت شائعة آنذاك، كما وجدت نسخ منه باللغة العبرية، مثلما وجدت صفحات منه بنسخ عديدة مكتوبة باللغة العربية[1]. وقد ترجم الكتاب إلى عدد من اللغات الأوروبية وكان له انتشار واسع في أوروبا . وقد استخدمه اليهود في صراعهم مع المسيحيين، كما استخدمه المسيحيون دليلا على عداوة اليهود لهم. والطريقة التي صاغ فيها مؤلف هذا الكتاب، أو مؤلفوه، تقوم على المنهج نفسه الذي يتبعه كتاب التاريخ المضاد. فالمؤلف يأخذ حادثة من الرواية المسيحية لحياة السيد المسيح (كما جاءت في الأناجيل) ويقوم بتشويهها بأن يرويها رواية مختلفة

---

(١) ثمة مسح شامل للترجمات العربية القديمة لهذا الكتاب مع وصف لها وأماكن وجودها لدى:

Miriam Goldstein, "Judeo-Arabic Version of Toledot Yeshu", *Ginzet Qedem*, Vol. 6 (2010), pp. 9-42.

عما سردته الأناجيل ويضيف إليها زوائد مخترعة، بحيث يلطخ صورة المسيح كما قصتها الرواية المسيحية، ويقدم بديلا لها مضادا تماما لما كانت عليه في تلك الرواية. وسنعرض فيما يلي لبعض تفصيلات هذه العملية معتمدين على أكثر الترجمات الإنجليزية لهذا الكتاب شيوعا وأكثرها اكتمالا[١].

يبدأ الكتاب بمخالفة التاريخ المعروف عن زمن ولادة المسيح، فيما نراه نحن أنه مسعى لتخريب الذاكرة المسيحية الجمعية. فالكتاب يؤرخ ولادة المسيح بسنة ٣٦٧١ لبدء الكون، حسب الخرافة اليهودية، أي حوالي سنة ٩٧ قبل الميلاد، إذ حلت في تلك السنة "بلية عظيمة بإسرائيل"، عندما ظهر شخص سيء السمعة اسمه يوسف بانديرا Joseph Pandera من قبيلة يهوذا وكان يسكن في بيت لحم.

يوسف هذا يذكرنا بيوسف خطيب السيدة مريم، حسب الرواية المسيحية، لكنه صورة مختلفة عنه بأن أضيف إلى الاسم الأول اسم بانديرا. أما بيت لحم، التي اتخذها مؤلف الكتاب مسرحا للحادثة فهي نفسها التي شهدت ولادة المسيح.

ويمضي الكتاب بالقول إن بانديرا كانت تجاوره بالسكن أرملة ومعها ابنتها الجميلة والمحتشمة التي كان اسمها مريام، وهي كانت متزوجة من يوحنان الذي ينتمي إلى عائلة داوود الملكية، وكان عالما

---

(١) ترجمة النص الإنجليزية منشورة في عدد من المواقع الإلكترونية، وبعد المقارنة اعتمدنا النص كما هو في الموقعين التاليين:

www.jewishchristianlit.org و www.essence.com

بالتوراة ويخاف الرب. هنا حرّف الكاتب سلسلة السلالة كما جاءت في الأناجيل، فبدل أن يجعل يوسف خطيب السيدة مريم هو وريث السلالة التي تتصل صعودا بداوود[1]، جعل يوحنان "زوج" مريم يحل محله. كذلك قدم صورة مختلفة لمريم بأنها كانت متزوجة ولم تكن عذراء كما ورد في الرواية المسيحية.

ويمضي الكتاب بأن يوسف بانديرا كان جذابا ومظهره مظهر محارب، وكان ينظر دائما بشبق إلى مريام. ومع انتهاء يوم السبت (أي ليلا) طرق باب غرفة مريام وخدعها بأن تظاهر بأنه زوجها يوحنان. وقد دهشت مريام لهذا التصرف المشين منه، إلا أنها خضعت له بغير إرادتها. وعندما عاد زوجها إليها اكتشف الاثنان الجريمة التي ارتكبها يوسف بانديرا والخطأ المريع الذي وقعت فيه مريام. وهكذا ذهب بانديرا إلى الحاخام شمعون بن شيتح وقص عليه قصة هذه الغواية المأساوية. إلا أنه لفقدان الشاهد عليها، وهو ما يتطلبه فعل العقاب الذي يوقع ببانديرا، ولأن مريام كانت حاملا، فقد غادر يوحنان إلى بابل.

وقد وضعت مريام طفلها وسمته يهوشوا Yehoshua باسم أخيها، إلا أن هذا الاسم شوه فيما بعد ليصبح يشوع, وقد اختتن يشوع، وفق الشريعة اليهودية، في اليوم الثامن من ولادته، وعندما شب أدخلته مريام مدرسة ليتلقى التعاليم اليهودية.

---

(١) كما جاء في إنجيل متى ١: ١-١٧.

حتى ذلك الحين لم تكن مسألة أن يسوع كان ابن زنا شائعة أو معروفة في محيطه كما يذكر الكتاب. غير أن هذه المسألة كشفت كما يقص الكتاب عندما كان يسوع يمشي أمام عدد من العلماء وهو مكشوف الرأس وهي عادة معيبة في عرفهم، ما جعلهم يبحثون فيما إذا كان هذا السلوك يدل حقيقة على أنه ابن غير شرعي وأنه ابن نداه niddah، وهي كلمة تعني زنا كما تعني فترة الحيض عند المرأة. بالإضافة إلى ذلك فقد أظهر يسوع معارضة لهؤلاء العلماء عندما فسر بعض أحكام الشريعة بما يخالف رأيهم، وزاد على ذلك بأن موسى لم يصبح أعظم الأنبياء إلا لأنه كان يتلقى المشورة من جيثرو[1]. وقد أدى ذلك كله إلى تفحص الأفعال السابقة ليشوع فكشف الحاخام شمعون بن شيتح أنه كان ابنا غير شرعي ليوسف بانديرا، كما اعترفت مريام بذلك. وهكذا بعد أن عرف هذا الأمر اضطر يشوع للهرب إلى الجليل الأعلى.

أما عن معجزات المسيح التي أكثرت روايات الأناجيل من تعدادها فللكتاب تفسيره الخاص لها، والتي تنفي أنها كانت نتيجة قدرة غرسها الله فيه، وأنه كان يستخدمها لإظهار آيات تدل على أنه مرسل من الله. إذ بدلا من ذلك تذهب حكاية الكتاب إلى أن تلك المعجزات حصلت بفعل السرقة والاحتيال. وبذلك فإذا كان الكتاب يسلم بهذه

---

(١) جيثرو وفق الرواية التوراتية هو كاهن المديانيين الذي التجأ إليه النبي موسى عندما هرب من مصر، وتزوج من إحدى بناته، وبقي عنده أربعين سنة إلى أن عاد إلى مصر. واسمه في الإسلام النبي شعيب.

المعجزات التي كان يقوم بها المسيح فقد قدم لها تفسيرا مضادا وفق منهج الكتابة في التاريخ المضاد.

تقول حكاية الكتاب إنه كان منقوشا على حجر الأساس في الهيكل أحرف اسم الله، وهو اسم يفوق الوصف ويحظر النطق به. وكان الذي يتعلم هذه الأحرف ويعرف كيفية استخدامها قادرا على فعل ما يريد مهما كان هذا الفعل. وقد جهد العلماء على اتخاذ إجراءات من شأنها أن تمنع أي شخص من العلم بها. ومن ذلك نصب أسدين مصنوعين من النحاس ومربوطين إلى عمودين مصنوعين من الحديد من شأنهما أن يزأرا إن دخل شخص مكان وجود هذه الأحرف وتعلمها، وعند ذلك ينسى هذا الشخص السر الذي تعلمه. غير أن يشوع أتى إلى هذا المكان وتعلم الأحرف وكتبها على رق من الجلد وجرح فخذه بسكين ودس الرق في الجرح. وهكذا عندما خرج من المكان زأر الأسدان النحاسيان فنسي يشوع الأحرف إلا أنه بعد خروجه فتح الجرح بسكين واستخرج الرق، وبذلك أصبح قادرا على استخدام الأحرف. ويلاحظ أن هذه الحكاية تختلف عن الحكاية التي يوردها التلمود عن أن المسيح تعلم السحر في مصر وأنه "هرّب" طلاسم السحر الذي تعلمه هناك بنقشها على لحمه. وهكذا في نسخة أخرى من الكتاب تروى الحكاية كما جاءت في التلمود وتنسى جزئية الهيكل والأسدين.

على كل حال، تقول الحكاية إن يشوع وقد امتلك القدرة على صنع ما يريد بسبب حيازته أحرف اسم الله بعد أن سرقها من الهيكل جمع حوله ثلاث مئة وعشرة أشخاص من شباب إسرائيل وأعلن لهم

أنه هو المسيح، مستشهدا بعدد من أقوال التوراة التي تتنبأ بمجيئه. وقد طالبه هؤلاء، الذين وصفهم الكتاب بالعصاة، بآيات تثبت أنه المسيح، وأحضروا لديه أعرج لم يمشِ في حياته، فقرأ عليه يسوع كلمات اسم الله فشفي، كذلك فعل مع شخص كان مصابا بالجذام. وعندما رأى هؤلاء ما فعل أخذوا "يعبدونه على أنه المسيح وأنه ابن الله العلي".

ويسجل الكتاب دخول المسيح أورشليم[١]، كما فعلت الأناجيل لكن بصورة مختلفة تماما. فالرواية المسيحية لهذا الحدث تدل على أنه دخلها مصحوبا بتلاميذه وجمع غفير من المؤمنين به بمبادرة منه فيما يشي بأنه كان تحديا لليهود فيها، بينما يستنتج من رواية الكتاب أنه قدم إلى القدس بخديعة رتبها له كهنة السنهدرين ليتمكنوا منه، ويسلموه إلى السلطة السياسية لمحاكمته. وقد احتفظت حكاية الكتاب عن هذا الحدث بجزئية وردت في الأناجيل بأنه دخل أورشليم راكبا حمارا[٢]. والاحتفاظ بمثل هذه الجزئية كانت له وظيفته في تعزيز مصداقية الحكاية الواردة في الكتاب، وذلك ينطبق تماما على منهج الكتابة في التاريخ المضاد عندما يستعير جزئية من رواية الخصم للتاريخ فيسلم

---

(١) سوف نستخدم على مدار هذا الفصل لفظة أورشليم للدلالة على هذه المدينة، وهو الاسم الذي كان شائعا في المرحلة التاريخية التي يغطيها هذا الكتاب، وذلك لكي نظل أمناء للسياق التاريخي الذي ورد فيه هذا الاسم. أما القدس أو بيت المقدس فهما اسمان استحدثا بعد الاسلام ليطلقا على المدينة.

(٢) ورد في الرواية المسيحية أنه عندما كان على جبل الزيتون متوجها إلى أورشليم طلب من اثنين من تلامذته أن يحضرا له جحشا ركبه متوجها به إلى أورشليم، إنجيل متى ٢١: ١-٧.

بها ولكن يضعها في سياق مختلف عن ذلك الذي جاء في الرواية الأصلية.

وتروي حكاية الكتاب أن المسيح عندما كان في أورشليم قام الكهنة بتربيطه وقادوه إلى حضرة "الملكة هيلين" Helene بتهمة "أن هذا الرجل ساحر ويغوي الناس". ونتوقف قليلا عند من يسميها الكتاب الملكة هيلين. ففي موضع آخر منه يقول إن هيلين هذه قد ورثت حكم زوجها الملك (الكساندر) جانيوس Alexander Jannaeus وكان جانيوس هذا من ملوك الحشمونيين الذين أسسوا لهم نوعا من الحكم الذاتي في أورشليم تحت سلطة السلوقيين، ودام حكمهم من ١٤٠ ق.م إلى ٦٣ ق.م عندما قضى عليهم الرومان عند احتلالهم فلسطين. وقد حكم جانيوس ما بين ١٠٣ ق.م و٧٦ ق.م وورثته في الحكم زوجته سالومي ألكسندرا Salome Alexandra حتى سنة ٦٧ ق.م. وهذه هي التي يسميها الكتاب هيلين. والتلاعب في التواريخ هنا، كما في موضع سابق أشرنا إليه أعلاه، هو نوع من تشتيت الذاكرة الجمعية المسيحية بجعل المحدد الزمني للحوادث هنا ما بين سنة ٧٦ ق.م وسنة ٦٧ ق.م وهي المدة التي حكمت فيها هيلين أو سالومي ألكسندرا، بينما الرواية المسيحية تذهب إلى أن حياة المسيح على الأرض استغرقت العقود الأولى من القرن الأول الميلادي. وتشتيت الذاكرة الجمعية هو من أهداف "التاريخ المضاد".

على كل حال، يبدو من الكتاب أن الملكة هيلين أو سالومي لم تقتنع بالتهم التي وجهها الكهنة للمسيح، فوبخت الكهنة وأذلتهم وأطلقت

سراح المسيح الذي غادر أورشليم إلى الجليل الأعلى، حيث كثر أتباعه الذين يسميهم الكتاب منشقين، وكثرت الخلافات في إسرائيل.

ونتيجة لذلك، عاد الكهنة ليشتكوا للملكة أفعال يسوع وممارسته السحر وتضليله الناس. فأرسلت اثنين، أنانول وأحزيا Annanul and Ahaziah، إلى الجليل الأعلى لإحضاره. غير أن مهمة المبعوثين فشلت عندما أدهشهم المسيح ببعض معجزاته (التي يعددها الكتاب) مستخدما في ذلك أحرف اسم الله (التي كان قد سرقها من الهيكل) فعادا إلى أورشليم ليقصا على الملكة خبر ما شاهداه لتصيبها "رعشة من الدهشة".

فشلت إذن محاولة الكهنة الثانية في جعل الملكة تتصدى للمسيح. فكانت المحاولة الثالثة ولكن بطريقة مختلفة. فقد استعان الكهنة بشخص يسميه الكتاب يهوذا الإسخريوطي Judah Iskarioto لتحقيق مهمتهم في القضاء على المسيح. ونتوقف عند الإسخريوطي هذا قليلا. ففي الرواية المسيحية أنه كان أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر وقد اشترى الكهنة ذمته بثلاثين قطعة من الفضة ليدلهم عليه وقد اتفق معهم على أن من يقبّله إنما هو المسيح. وهكذا عندما تجمع عليه الكهنة وأتباعهم وحاصروه قبله يهوذا فألقوا القبض عليه، وساقوه إلى بيت رئيس الكهنة ثم قادوه إلى بيلاطس حاكم أورشليم[١].

---

(١) التفاصيل، يكمل بعضها بعضا، في إنجيل لوقا ٢٢: ٤٧-٥٤، ٢٣: ١؛ إنجيل متى ٢٦: ٤٧-٥٦؛ إنجيل يوحنا ١٨.

لقد احتفظ الكتاب باسم يهوذا الإسخريوطي، لكنه جعل منه شخصا مختلفا تماما عن سميه في الأناجيل. فهو ليس من تلاميذ المسيح بل هو شخص اختاره الكهنة لمواجهة المسيح. وذلك بأن أدخلوه إلى الهيكل وجعلوه يتعلم أحرف اسم الله لكي يستخدمها في المواجهة المنتظرة. وكانت المواجهة في حضرة الملكة هيلين حيث أحضر جمع من الكهنة المسيح ويهوذا. في هذا اللقاء قال يسوع "إني قد أوحي إلي بأني سوف أصعد إلى السماء" وفرد ذراعيه كجناحي نسر وطار ما بين الأرض والسماء ليدهش بذلك جميع الحضور. وقد طلب الكهنة من يهوذا أن يفعل فعل يسوع، فاستجاب هذا وطار إلى السماء في محاولة منه لإجبار يسوع على الهبوط إلى الأرض. ويصف الكتاب صراعا دار بين يسوع ويهوذا الإسخريوطي، إلا أن أيا من الاثنين لم يتمكن من طرح الآخر على الأرض لأنهما كانا متسلحين بأحرف اسم الله التي تمنحهما القوة على فعل ما يريدان. وهنا لجأ يهوذا إلى "تدنيس يسوع جنسيا" وفي أثناء هذه العملية فقد الاثنان "أحرف اسم الله" وسقطا على الأرض.

بعد هذا ينتقل المشهد من أورشليم إلى طبرية. فقد اعتقل الكهنة يسوع وأخذوه إلى كنيس في طبرية، وربطوه إلى عمود هناك. وعند هذا المفصل يستعير الكتاب عنصرين من الأناجيل ويخرجهما عن سياقيهما إلى سياق مختلف. فهو يذكر أنه عندما كان مربوطا إلى العمود سقاه اليهود خلا ليروي عطشه، وهذه الجزئية مستعارة من الأناجيل التي جاء فيها أن المسيح عندما كان مصلوبا بعد أن أمر

بيلاطس بذلك، أظهر عطشه فأعطي خلا[1]. أما الجزئية الأخرى ففي قول الكتاب إن اليهود وضعوا على رأس يسوع، وهو مربوط إلى العمود، إكليلا من الشوك. ونجد إكليل الشوك هذا في سياق مختلف في الرواية المسيحية التي تذكر أن عسكر بيلاطس هم الذين ضفروا للمسيح إكليلا من الشوك ووضعوه على رأسه[2].

على كل حال، لم يتمكن اليهود هذه المرة أيضا من القضاء على المسيح. فقد حدث (في طبرية) صراع وشجار بين الكهنة وأتباع يسوع الذين يصفهم الكتاب بأنهم كانوا غير منضبطين. ونتيجة لذلك تمكن يسوع وأتباعه من الهرب إلى منطقة أنطاكية حيث بقي هناك إلى عيد الفصيح.

قرر يسوع وهو هناك (حسب هذا الكتاب) أن يعود إلى أورشليم ويدخل الهيكل لكي يحصل على "سر الاسم" من جديد. وهكذا عاد ومعه أتباعه راكبا حمارا (انظر جزئية الحمار أعلاه)، ودخل الهيكل ومعه مئة وعشرة أشخاص من أتباعه. وهنا يبرز دور يهوذا الإسخريوطي ثانية، إذ أخبر الكهنة أنه سوف يدلهم على يسوع بأن ينحني أمامه، وهكذا فعل (انظر أعلاه جزئية إرشاد يهوذا إلى المسيح). وبذلك تمكن الكهنة من القبض على يسوع.

حكم الكهنة على يسوع بالموت مساء عيد الفصح. وعندما حاولوا أن يعلقوه على شجرة كانت كل شجرة تتكسر لأنه كان، عندما

---

(١) إنجيل يوحنا ١٩: ٢٨-٣٠.

(٢) إنجيل يوحنا ١٩: ١.

كان يمتلك قوة سر أحرف اسم الله، قد أمر كل الأشجار ألا تحمله، باستثناء خروبة كانت نبتة ولم تكن شجرة فشنقوه عليها، ثم دفنوه خارج المدينة.

مع بداية الأسبوع التالي جاء أتباعه إلى الملكة هيلين (سالومي ألكسندرا) وأخبروها بأن من قُتِل كان المسيح الحقيقي وهو غير موجود في قبره، فقد صعد إلى السماء كما كان يتنبأ. هنا التاريخ المضاد يستعير جزئية اختفاء المسيح من القبر من الرواية المسيحية[١] لكن بدل أن يضعها في سياقها كما جاءت في تلك الرواية عن قيامه من الأموات إلى حياة جديدة سماوية يجعل لها إطارا مختلفا باختلاق قصة أن بستانيا اختطفه من القبر ودفنه في قبر آخر في بستانه حيث غمرته المياه. وقصة هذا البستاني تذكر ببستاني الرواية المسيحية وإن كانت في سياق مختلف. إذ تذهب هذه الرواية إلى أن مريم المجدلية عندما زارت قبر المسيح بعد دفنه فيه واكتشفت اختفاءه منه تراءى لها يسوع حيا وقد خاطبها، فظنته بستانيا فطلبت منه أن يدلها على المسيح إن كان هو الذي أخذه من قبره[٢].

على كل حال، يخبرنا الكتاب أن الملكة هيلين أمرت بأن يبحث عن جسد يسوع ويحضروه لها في مهلة ثلاثة أيام وإلا تعرض الكهنة للعقاب. وقد أصاب هذا الإنذار الملكي الكهنة بالرعب، ومنهم الحاخام تهومه الذي خرج إلى الحقول باحثا عن الجسد. وكان أن

---

(١) إنجيل لوقا ٢٤: ١-١٢؛ إنجيل يوحنا ٢٠: ١-١٠.

(٢) إنجيل يوحنا ٢٠: ١١-١٧.

التقاه البستاني الذي اختطف الجسد فأخبره هذا عما فعل، مبررا ذلك بـ"ألا يتمكن أتباع يسوع من سرقة الجسد ويزعموا بأنه صعد إلى السماء". وعلى هذا استخرج الكهنة جسد المسيح وربطوه إلى ذيل حصان وأخذوه إلى الملكة وقد كتبوا عليه: "هذا هو يشوع الذي قيل إنه صعد إلى السماء"، مؤكدين أنه كان نبيا زائفا وقد حرض الناس وقادهم إلى الغواية. ويبدو أن الملكة كانت سعيدة بهذه النهاية، إذ يقول الكتاب إنها استهزأت بأتباع يسوع وكالت المديح للكهنة.

جرائم مبكرة:
استهداف الرموز

سجلت المرحلة المبكرة من تاريخ المسيحية عددا من الجرائم وأعمال العنف اقترفها اليهود بحق المسيحيين. وسوف يطل هذا الجزء من الكتاب على أبرز هذه الأعمال، قبل أن نسجل في الفصول الثلاثة التالية تلك الجرائم واسعة النطاق التي كانت العنوان الأبرز على عداوة اليهود للمسيحيين.

ويبدو أن تسبب اليهود بتغييب المسيح عن الأرض (بالموت على الصليب وفق العقيدة المسيحية وبرفعه إلى الله تعالى كما نص على ذلك القرآن الكريم) قد فتح شهيتهم لمزيد من الأعمال المماثلة. وكانت الضحية الأولى في هذا الطريق القديس استفانوس الذي قتله اليهود سنة ٣٣ أو سنة ٣٤ للميلاد، واكتسب بذلك في التراث المسيحي لقب الشهيد الأول. وهو يكتب اسمه في الترجمات العربية

"للعهد الجديد" برسم استفانوس، بينما يرد الاسم في الترجمات الإنجليزية برسم Stephen، وهي كلمة من أصل يوناني تعني "التاج". ونعرف سيرة هذا الرجل مما روى عنه كتاب "أعمال الرسل"[١]. وكان أول ظهور بارز له عندما اتفق تلاميذ المسيح وجمهور المسيحيين في أورشليم على أن يختاروا لهم سبعة من بينهم ليكونوا، وفقا لما يفهم من كتاب "أعمال الرسل"، بمثابة "قيادة" للمسيحيين في أورشليم. وكان استفانوس من بين هؤلاء السبعة، وقد وصفه هذا الكتاب بأنه كان "رجلا مملوءا من الإيمان والروح القدس"[٢]. ومن الواضح من سيرته أنه كان آية في النشاط في نشر المسيحية في فلسطين، ويقول مصدرنا "إن كلمة الله كانت تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جدا في أورشليم، وجمهور كبير من الكهنة يطيعون الإيمان".

ويبدو أن الكهنة اليهود حمّلوا استفانوس مسؤولية هذا الوضع الذي كانت المسيحية فيه تكتسب أنصارا عدة حتى من بين صفوف الكهنة أنفسهم. وهكذا دبروا أن يجلبوا استفانوس إلى مناظرة معهم (أو محاكمة) في السنهدرين (أو المجمع كما يدعوه المصدر)، لكنهم

---

(١) هو الكتاب الخامس من كتب "العهد الجديد" بعد الأناجيل الأربعة: إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا. والكتاب يجمل تاريخ "العهد الرسولي" الذي تلا عهد السيد المسيح. ويعتقد أن مؤلفه هو القديس لوقا صاحب الإنجيل الموسوم باسمه، وقد كتبه في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، وعلى الأرجح ما بين سنتي ٦٠ و٦٢ للميلاد.

(٢) المعلومات الواردة عن استفانوس في المتن أعلاه من: أعمال الرسل: الإصحاحان السادس والسابع.

فشلوا في التغلب عليه فلجأوا إلى جلب شهود زور شهدوا على أن استفانوس كان يجدف ضد المجمع وضد الناموس (الشريعة اليهودية). ويسجل "أعمال الرسل" خطبة طويلة ألقاها استفانوس في وجه الكهنة استعرض فيها التاريخ منذ عهد النبي موسى واختتمها بالقول: "يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان! أنتم دائما تقاومون الروح القدس، كما كان آباؤكم كذلك أنتم. أيّ الأنبياء لم يضطهدهم آباؤكم، وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار الذي أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه، الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه".

أثارت خطبة استفانوس غضب الكهنة، وهيجوا عليه الناس فهجموا عليه وجروه إلى خارج المدينة ورجموه حتى الموت. وكان من جملة من شارك في الرجم شاول الذي تحول فيما بعد إلى المسيحية واتخذ اسم بولس وأصبح من آباء الكنيسة المسيحية الأولين، وليعطى لقب قديس في زمن لاحق.

الضحية الثانية في هذه السلسلة كان القديس جيمس (أو يعقوب) الذي قتله اليهود سنة ٦٣م. وهو يوصف بالأناجيل بأنه "أخو المسيح"[١]، ويعد أحد أركان الكنيسة المسيحية بعد غياب السيد المسيح.

---

(١) ورد في "العهد الجديد (متى ١٣: ٥٥-٥٦؛ مرقس ٦: ٣؛ رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ١: ١٩) أسماء عدد من الرجال ذُكر أنهم كانوا أخوة المسيح بالإضافة إلى أخوات له. وقد اختلف المفسرون اختلافا بيّنا في المقصود بذلك، فذهب بعضهم إلى أن هؤلاء إخوته حقيقة ولكن من يوسف الذي كان متزوجا من قبل أن يخطب السيدة مريم، وذهب رأي آخر إلى أن هؤلاء كانوا إخوته في الرب والإيمان. غير أن الرأي الأكثر دقة وشيوعا هو أن المعنى المتضمن في كلمة إخوة هو "أقارب". أما وصف جيمس ←

وقد وصفه بولس الرسول بأنه أحد ثلاثة يشكلون "أعمدة" المسيحية في ذلك الزمن المبكر (والآخران هما يوحنا وبطرس)[1]. وعلى خلفية هذه المكانة المتميزة اختار الرسل والتلاميذ جيمس ليكون أسقفا للقدس، وهو أول من شغل هذا المنصب في تاريخ المسيحية.

قصة مقتله سجلها مصدران قديمان اتفقا في الجوهر (أن اليهود هم قاتلوه) واختلفا في التفصيل. أحد المصدرين المؤرخ اليهودي الروماني فلافيوس يوسيفوس Flavius Josephus بكتابه عن تاريخ اليهود القديم الذي ألفه حوالي سنة ٩٣ للميلاد، والذي يذكر فيه[2] أن أنانوس Ananus الكاهن الأكبر في أورشليم دعا إلى اجتماع

←المشار إليه في المتن أعلاه بأنه أخو المسيح فقد فُسر بأنه كان فعلا أخا المسيح من أمه مريم التي تزوجت يوسف بعد ولادتها المسيح وأنجبت منه جيمس وغيره من الأبناء. غير أن ثمة اعتراضات عديدة على هذا التفسير الذي يخل بمبدأ بتولية السيدة مريم الذي يدخل في صلب العقيدة المسيحية (كما هو جزء من المعتقد الإسلامي أيضا)، وبذلك فإن الرأي الغالب أن جيمس كان ابن خالة السيد المسيح من أخت للسيدة مريم عرفت أيضا بهذا الاسم، فوصف بأنه أخو المسيح، بمعنى أنه أحد أقربائه.

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٢: ٩. وقد ورد في النص اسم يعقوب ليطلق على جيمس، والاسمان متبادلان لشخص واحد. كما ورد اسم "صفا" ليطلق على بطرس، وقد اختار مترجم النص هذه اللفظة المشتقة من العربية (صفاة بمعنى الصخرة الملساء) والآرامية (صيفا بمعنى الصخرة أيضا) ليدلل بها على لفظة بطرس التي تعود إلى أصل يوناني يعني صخرة أيضا، وهو اللقب الذي أطلقه المسيح على تلميذه سمعان، فأصبح يعرف بسمعان بطرس أو ببطرس اختصارا.

(2) Flavius Josephus, The *Antiquities of the Jews* (Translated by William Whitson), Book 2. Chapter 9: 1.

للسنهدرين (المحكمة اليهودية) وأحضر جيمس أمام المجتمعين الذين وجهوا إليه تهمة انتهاك الشريعة، ثم أمر برجمه.

أما المصدر الآخر فهو يوسيبيوس Eusebius أسقف قيصرية (قيسارية) في فلسطين في كتابه عن تاريخ الكنيسة الذي ألفه سنة ٣٢٥ للميلاد. وهو يقتبس في روايته خبر مقتل جيمس من عدد من المصادر التي سبقته، والتي يعود بعضها إلى زمن قريب من تلك الحادثة[١]. ويتضح من الروايات التي أوردها هذا المؤرخ[٢] أنه يحمل مسؤولية مقتل جيمس للكاهن الأكبر أنانوس، كما فعل يوسيفوس، لكنه يروي أن مجموعة من الكتبة اليهود قصدوا جيمس وحاولوا إقناعه بأن يتنصل من المسيح ويعلن على الملأ أنه أضل الناس بادعائه هذه الصفة، وطالبوه بأن يقنع الناس بألا ينساقوا في طرق الضلال باتباعهم المسيح. وقد حدد الكتبة موعدا لجيمس بأن يكون يوم عيد الفصح حيث يجتمع الناس، من اليهود وغير اليهود، حول "الهيكل" الذي ينبغي عليه أن يعتلي قمته ويجهر بهذه الآراء.

وقد حدث ـ كما يقول مصدرنا ـ أن أجبر جيمس على الذهاب في الموعد المحدد إلى "الهيكل" واعتلاه، لكنه بدل أن يقول

---

(١) منها ما كتبه هيجسيبيوس Hegesippus الذي عاش بين ١١٠ و١٨٠ للميلاد، وكليمنت الإسكندراني Flavius Clement of Alexandria الذي عاش بين ١٥٠ و٢١٥ للميلاد.

(2) *Ecclesiastical History of Eusebius Pamphilius (c. 265-339 AD) Bishop of Cesarea in Palestine written in A.D 325* (as maintained on servers; www.peterstarchive.com and www.ccel.org), Book II, Chapter XXIII.

للناس ما طلب الكهنة منه، أعلن بصوت عال: "لماذا تسألونني عن يسوع ابن الإنسان؟ إنه في السماء يجلس إلى يمين القوي العظيم، وهو على وشك القدوم معتليا سحب السماء". وكانت خيبة أمل الكتبة عظيمة بما فعله جيمس خاصة عندما استجاب الجمهور له بالهتاف، فما كان منهم إلا أن اعتلوا "الهيكل" حيث كان يقف جيمس وألقوه من هناك إلى الأرض. غير أنه لم يمت فورا فأخذوا برجمه بالحجارة إلى أن تصدى له قصار ثياب فضربه بهراوته على رأسه وأجهز عليه.

وبعد جيمس تولى أسقفية القدس سمعان بن كليوفاس أو كلوباس Symeon son of Cleophas or Clopas الذي تولى منصبه كثاني أسقف للقدس سنة ٦٣م واستمر في هذا المنصب إلى مقتله سنة ١٠٧م. تقول مصادرنا إن سمعان هذا كان ابن خالة المسيح من أم اسمها مريم بالاسم نفسه الذي حملته السيدة مريم. وقد أجمع عليه المسيحيون في القدس ليخلف جيمس في أسقفيتها[١].

قتل سمعان في عهد الإمبراطور الروماني تراجان Trajan (حكم من سنة ٩٨ إلى سنة ١١٧م) الذي كان قد جدد مرسوما كان قد أصدره قبله الأمبراطور فسباسيان Vespasian بقتل كل من هو من "نسل داوود" بعد أن قضى على الثورة اليهودية في فلسطين (٦٧-

---

(١) المعلومات الواردة في المتن أعلاه عن سمعان هي بشكل أساسي من:

Eusebius, *op. cit.*, Book III, Chapter XXXII, 1-6.

وانظر كذلك:

Edward H. Flannery, *Twenty-three Centuries of Antisemitism: The Anguish of the Jews* (Mahawa, New Jersey: Paulist Press, 2004), p. 36.

٧٠م). وقد وشى اليهود ومعهم جماعة من الهراطقة إلى حاكم القدس الروماني بأن سمعان ليس فقط من أصل يعود إلى داوود وإنما هو مسيحي أيضا، فأمر الحاكم بتعذيبه ثم قام بصلبه حتى الموت.

هذه الأمثلة الثلاثة وقعت في فلسطين في زمن المسيحية المبكر. غير أن الجريمة كانت آفاقها تتسع لتشمل مناطق أخرى خارجها. ومن الأمثلة على ذلك الجريمة التي أودت بحياة القديس برنابا Barnabas في قبرص سنة ٦١م. وبرنابا من قبرص ولد هناك لأسرة يهودية أرسلته إلى مدرسة في أورشليم، حيث تحول إلى المسيحية وأصبح أحد تلاميذ السيد المسيح السبعين. وبعد رحيل المسيح أصبح برنابا أحد أكبر النشطاء في نشر المسيحية في أورشليم نفسها وسوريا، وأنطاكية على وجه التحديد، كما عمل بكثافة في موطنه الأصلي قبرص. وقد تميز بنشاطه في صفوف الوثنيين ما مكنه من كسب أنصار منهم عديدين إلى المسيحية. وقد أثار ذلك حقد اليهود عليه فجمعوا أعدادا منهم في مدينة سالامس Salamis القبرصية وحرضوا عليه الغوغاء، الذين ألقوا القبض عليه وقاموا بتعذيبه ثم رجموه حتى الموت[1].

ومثال آخر هو القديس بوليكارب Polycarp أسقف إزمير (في تركيا الآن) الذي قتل سنة ١٦٦م. وبوليكارب من أصول يونانية، وقد اعتنق المسيحية في وقت مبكر من عمره، وتميز بأنه كان من

---

(1) Alban Butler, *The Lives of the Fathers, Martyrs and Other Principal Saints* (Dublin: James Duffy, 1866, published April 2010 by Bartleby.com), Vol. VI.

أبرز الدعاة للمسيحية في الجيل الذي أعقب جيل الرسل (الذي خلف السيد المسيح) وكان من تلاميذ يوحنا الرسول، وتولى أسقفية إزمير. حدث في زمنه أن تعرض المسيحيون في آسيا الصغرى (تركيا الآن) لحملة اضطهاد في عهد الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius (حكم من سنة ١٦١ إلى سنة ١٨٠م)، وعندما لوحق بوليكارب اختفى في إحدى القرى بعيدا عن إزمير، إلا أن السلطات الرومانية اكتشفت مكانه واعتقلته، وجلبته للمحاكمة في استاد إزمير، حيث احتشدت أعداد كبيرة من اليهود والوثنيين فيه لمشاهدة هذا الحدث. وقد حاول حاكم إزمير الروماني أن يثنيه عن المسيحية وجعله يمجد الآلهة الرومانية. وعندما فشل أعلن أن بوليكارب متمسك بالمسيحية، وبذلك يستحق الموت. عندها صرخ اليهود ومعهم الوثنيون يطالبون بإطلاق وحش مفترس عليه لالتهامه حيا. غير أن الحاكم رفض هذا الحكم لأن الوحوش كانت خارج الاستاد، فعاد اليهود ومن معهم من الوثنيين يطالبون بإحراقه حيا بالنار وهو ما وافق عليه الحاكم. وتنقل مصادرنا القديمة[1] عن رسالة وجهها المسيحيون في إزمير إلى إخوتهم في أورشليم ما حدث عند ذاك "أن الجمهور [الذي كان حاضرا في الاستاد] انطلق فورا لجمع الحطب [لإعداد المحرقة] وحزم الحديد من الحمامات والحوانيت، وكان اليهود هم أكثر الناس حماسة لإنجاز هذه المهمة، مثلما هي عادتهم". وبالفعل، أحرق بوليكارب حيا.

---

(1) Eusebius, Book IV, Chapter XIV, 1-29.

كانت جريمة قتل الرموز الأكثر بروزا (وهي ما أوردنا عليها أمثلة أعلاه) هي أفظع الوسائل التي استخدمها اليهود في محاولاتهم المستميتة للقضاء على المسيحية وهي ما تزال في تاريخها المبكر. غير أنه رافق ذلك أشكال من أعمال الاضطهاد الأخرى ليست أقل شأنا. ونعرض فيما يلي بعض الأمثلة.

يخبرنا كتاب "أعمال الرسل"[١] بأنه أعقب مقتل استفانوس سنة ٣٣ أو ٣٤م (انظر أعلاه عن مقتله) "اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة"، وقد لعب شاول (الذي كان ما زال يهوديا قبل أن يتحول إلى المسيحية ويسمى بولس) دورا كبيرا في هذا الاضطهاد إذ "كان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت ويجرر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن".

ومن أبرز من وقع عليهم الاضطهاد سمعان بطرس أبرز تلاميذ المسيح الاثني عشر، والذي كثيرا ما يدعى بـ"أمير الرسل"، وهو الذي تولى قيادة المسيحيين بعد رحيل المسيح. وقد اتصف بطرس بجرأته في مواجهة اليهود، فكان يقتحم عليهم معابدهم في أورشليم مبشرا بالديانة الجديدة. وعلى هذا عرض نفسه لحقد اليهود وكراهيتهم، ما دفعهم إلى إلقاء القبض عليه وزجه في السجن الذي نجا منه بمعجزة ليمارس من جديد عمله التبشيري. وقد تشاور كهنة اليهود فيما بينهم على قتله، إلا أنهم، كما يبدو من أخباره في "كتاب الرسل"، تراجعوا عن ذلك خشية أن يتعرضوا لردود فعل في غير

---

(١) أعمال الرسل ٨: ١-٣.

مصلحتهم، فاعتقلوه ثانية، هو وعدد من أصحابه، وقاموا بجلدهم قبل أن يطلقوا سراحهم مع تهديدهم بـ"أن لا يتكلموا باسم يسوع"[1].

وكان ممن تعرضوا للاضطهاد والجلد أيضا بولس الرسول. وكان بولس قبل أن يتحول إلى المسيحية ويحمل هذا الاسم يعرف باسم شاول. وكان يوصف قبل أن يتحول إلى المسيحية بأنه "كان لم يزل ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب"[2]. وقد سبق أن رأينا مساهمته في قتل استفانوس وحملة الاضطهاد على المسيحيين التي أعقبت هذا الحدث. غير أن شاول في رحلة له إلى دمشق لملاحقة المسيحيين فيها وجلبهم إلى أورشليم لاضطهادهم تعرض لرؤيا ظهر له فيها المسيح يوبخه على ما يفعل، فتحول إلى المسيحية وتسمى بولس، واستمر في رحلته إلى دمشق التي أقام فيها فترة، ثم عاد إلى أورشليم لينضم إلى ركب كبار رجال المسيحية فيها.

ولا بد أن يكون هذا الانقلاب الجذري في حياة بولس قد أثار عليه نقمة اليهود ودفعهم إلى إحكام الخناق عليه. ويتضح حجم ما كان يتعرض له من ضيق وسط اليهود في أورشليم من رسالة وجهها إلى بعض المسيحيين يطلب منهم أن يصلّوا من أجله لتخليصه من هذا الوضع الصعب: "أطلب إليكم ... أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله لكي أُنقذ ممن هم غير مؤمنين في اليهودية، ولكي تكون

---

(٢) أعمال الرسل ٥: ١٧-٤٠.

(١) أعمال الرسل ٩: ١.

خدمتي لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين"[1]. ويتضح من رسالة أخرى له نوع التعذيب الذي كان يلقاه على أيدي اليهود: "من اليهود قبلت أربعين جلدة إلا واحدة، ثلاث مرات ضُربتُ بالعصي"[2].

هذه الأمثلة نختمها بما تعرض له المسيحيون من اضطهاد في أثناء الثورة اليهودية على الرومان ما بين سنتي ١٣٢ و١٣٥م. عرفت هذه الثورة باسم قائدها باركوخبا Bar Kochba الذي أعلن نفسه ملكا لليهود، واعترف به كبير الكهنة اليهود على أنه هو المسيح. وقد حاول باركوخبا أن يفرض على المسيحيين التسليم له بهذا اللقب وأن يشاركوه في الثورة، وعندما رفضوا قام بمذبحة أودت بحياة أعداد كبيرة منهم[3]. ويقول معاصر لهذا الحدث هو جوستين Justin (أو يوستينس والمعروف بجوستين الشهيد والمولود في نيابوليس أو نابلس الحالية في فلسطين) في رسالة له كتبها ما بين ١٥٥ و١٥٧م إلى الإمبراطور الروماني أنطونيوس بيوس Antonius Pius (حكم من ١٣٨ إلى ١٦١م) عن تعامل باركوخبا مع المسيحيين: "في الحرب اليهودية التي نشبت مؤخرا أصدر باركوخبا قائد المتمردين أوامر بأن

---

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٥: ٣٠=٣٢.

(٢) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ١١: ٢٤-٢٥.

(3) Flannery, *op. cit.*, p. 36.

يقاد المسيحيون وحدهم إلى العقوبات الوحشية ما لم يجحدوا يسوع المسيح ويلعنوه"[1].

ردود الفعل المسيحية

لم يسجل تاريخ المسيحية المبكر، وهو ما كان إطارا للبحث في هذا الفصل، أية ردود فعل عنيفة تجاه ما تعرض له المسيحيون من قتل واضطهاد على أيدي اليهود. فلا نعرف حادثة على امتداد هذا التاريخ تشي بأن المسيحيين اقترفوا عملا ماديا يوصف بأنه عنيف تجاه اليهود، أكان ذلك العمل ابتداء منهم أم ثأرا لما لحق بهم من أذى على أيدي اليهود. وقد عبر عن هذه الحالة القديس بيونيوس Pionius الذي قتل سنة ٢٥٠م.

وبيونيوس راهب من سوريا استقر في إزمير (في تركيا الحالية) واشتهر هناك بأنه أحد أركان الكنيسة المسيحية في زمنه. وقد احتفظ لنفسه بمكانة في التاريخ الكنسي بمؤلفاته العديدة، خاصة كتابا له عن القديس بوليكارب الذي كتبنا عنه في الصفحات السابقة. تعرض بيونيوس للاعتقال والتعذيب في عهد الامبراطور الروماني ديشيوس Decius (حكم من سنة ٢٤٩ إلى سنة ٢٥١) الذي أصدر (سنة ٢٥٠م) قرارا عممه في أنحاء الإمبراطورية يأمر به جميع السكان بأن يقدموا أضاحي للآلهة الرومانية في يوم معين من أيام السنة، وعلى الجميع أن يتحصلوا على شهادة مكتوبة من السلطات الرومانية حيث يقيمون بأنهم امتثلوا لهذا الأمر. وكان من الطبيعي

---

(1) Justin Martyr, *First Apology*, translated by Marcus Dods and George Reith (Buffalo, NY: Christian Literature Publishing co., 1885), p. 13, as maintained on server www.schutt.org.

أن يرفض المسيحيون في أرجاء الإمبراطورية هذا الأمر، فعرضوا أنفسهم لحملة من الاضطهاد، كان بيونيوس أحد ضحاياها. قُدم هذا الراهب للمحكمة (مع غيره من الرهبان)، في استاد أزمير كما هي العادة، وبحضور جمهور من الوثنيين واليهود الذي لم يتركوا هذه الفرصة تفوت عليهم للتحريض عليه حتى الموت. وبالفعل حكم على بيونيوس بالإعدام حرقا وهو حي على الصليب، لكنه قبل أن يلقى حتفه خاطب اليهود بالقول:

"أقول لكم أيها اليهود... إذا كنا نحن أعداء فإننا أيضا كائنات إنسانية. هل ألحقنا أي أذى بكم؟ هل عذبناكم ؟ متى قمنا باضطهادكم؟ متى أسأنا إليكم بالكلام؟ متى قسونا عليكم بجركم إلى التعذيب؟"[1]

لقد كان بيونيوس يعبّر عن حقيقة تاريخية نأى المسيحيون فيها بأنفسهم عن اقتراف أي فعل عنيف ضد اليهود، فقد اكتفوا بما سجلوه عليهم من "مكاسب معنوية وعقائدية" شملت انتشار دعوتهم انتشارا واسعا في صفوف جمهورهم المستهدف، أكان وثنيا أم يهوديا، وتوسع الإطار الجغرافي لهذه الدعوة التي وصلت إلى معظم مناطق العالم القديم.

على كل حال، كانت الأمثلة التي سبقت، كما أشرنا إلى ذلك غير مرة، بكل مراراتها ووحشيتها قد حدثت في المرحلة المبكرة من تاريخ المسيحية، أي في المئة سنة الأولى التي أعقبت غياب المسيح. غير أن حملات القتل والإبادة التي تعرض لها المسيحيون على أيدي

---

(1) Flannery, *op. cit.*, p. 36.

اليهود اتسعت واتخذت أشكالا أشد وطأة في مراحل لاحقة، وهو ما سنتبينه في الفصول اللاحقة.

الفصل الثاني

مقاتل المسيحيين
تحت المظلة الفارسية

الفرس وفكرة الخلاص اليهودي

صيغ نمط العلاقة ما بين اليهود والفرس في ضوء فكرة أن "الخلاص" اليهودي يتأتى من الجانب الفارسي. وقد تبلورت هذه الفكرة استنادا إلى ثلاث دعائم دخلت في التراث اليهودي المستند إلى المزاعم والحكايات التوراتية: إعادة الفرس اليهود المنفيين في بابل إلى أورشليم والمقيمين هناك بعد تدمير "الهيكل" على أيدي البابليين سنة ٥٨٦ ق.م ، وأمر الفرس بإعادة بناء "الهيكل"، وإنشاء مقاطعة يهودية في أجزاء من فلسطين (أورشليم والمنطقة المحيطة بها) باسم "يِهود"[١].

---

(١) أنشأ الفرس هذه المقاطعة كجزء من الولاية الفارسية التي تعرف باسم ولاية ما وراء النهر (إلى الغرب من الفرات) بعد أن قضى قورش (سنة ٥٣٩ ق.م) على الدولة البابلية وأسس على أنقاضها الإمبراطورية المعروفة تاريخيا باسم المملكة الفارسية الأخمينية. وكان القصد منها يقع ضمن استراتيجية كورش الكبرى بتقسيم الإمبراطورية إلى وحدات إدارية صغرى يلي أمورها حكام من الوحدة نفسها لكي يسهل السيطرة عليها. وتاريخ مقاطعة يهود يكاد يكون مجهولا لدى المؤرخين، إذ المرجع الوحيد عنه هو ما كتب عنها في التوراة التي لم تعد في نظر البحث العلمي الحديث جديرة بالاعتماد عليها كمصدر تاريخي. وبإجمال، فإن ما يعرف بالعهد الفارسي في فلسطين (عندما كانت تحت الحكم الفارسي الأخميني) ابتداء من سنة ٥٣٩ ق.م هو أكثر الفترات غموضا في التاريخ الفلسطيني القديم، بما في ذلك تاريخ هذه المقاطعة. وعلى كل حال، انتهى أمر هذه المقاطعة باحتلال الإسكندر المقدوني فلسطين سنة ٣٣٣ ق.م الذي أنهى النفوذ الفارسي في المنطقة.

وقد أكثرت التوراة من الأساطير المتصلة بهذا الدور الذي قام به الفرس في شأن "الخلاص" اليهودي، ويغدو ذلك مفهوما مع إدراك ما توصل إليه البحث العلمي الحديث عن حقيقة أن التوراة كتبت في فترة الحكم الفارسي لفلسطين (أو العهد الفارسي) الممتد من سنة ٥٣٩ ق.م إلى سنة ٣٣٣ ق.م. إذ نشأ يقين، مستند إلى دعائم علمية، بأن التوراة، بمعظمها وأجزائها الرئيسية كتبت بعد سنة ٤٤٠ ق.م (وربما ما بين ٤٤٠ و٤٢٠ ق.م)[١]. وكان من الطبيعي، والأمر كذلك، أن يرسم كتبة التوراة ومحرروها صورة زاهية للأسياد وأولياء النعمة الفرس تبين فضل الفرس عليهم. نأخذ مثلين من هذه الحكايات المتصلة بفكرة "الخلاص":

المثل الأول هو المتصل بالحكايات التي كان بطلها كورش (Cyrus) الذي يوصف بالعظيم، مؤسس الدولة الفارسية الإخمينية والذي حكم ما بين ٦٠٠ و٥٧٦ قبل الميلاد. وقد دارت حول كورش الأساطير التوراتية التي ربطت اسمه بإعادة اليهود المنفيين في بابل إلى القدس (أورشليم) وأمره بإعادة بناء "الهيكل" فيها الذي عرف في التراث اليهودي بـ"الهيكل الثاني". وقد بينا في كتاب لنا سابق[٢] أبعاد تلك الأساطير وما فيها من تزييف تاريخي إلى الحد الذي ينقض وقوع هذه الحادثة بإطلاق. غير أن ما يهمنا قوله هنا هو أن كورش،

---

(١) فيما يذهب بعض الباحثين إلى أنها كتبت في العهد الهلنستي (اليوناني) الذي امتد من سنة ٣٣٠ ق.م إلى الاحتلال الروماني لفلسطين سنة ٦٣ ق.م.

(٢) انظر كتابنا: **القدس: تاريخ مختطف وآثار مزورة** (عمان: اللجنة الملكية لشؤون القدس، ٢٠٠٩)، ص ص. ١١٥-١٣٢.

بالأساطير التي لفع بها، دخل التراث اليهودي باعتباره الرجل الذي كان "خلاص" اليهود على يديه، بل وصل الأمر في هذا التراث إلى رفعه إلى مرتبة الأنبياء العظام، فهو مسيح الرب[1]، وهو الذي أوصاه الرب بأن يبني له بيتا في أورشليم[2].

والمثل الثاني هو الحكايات التي بطلها الملك الفارسي الذي تسميه التوراة أحشويرش (Xerxes الذي حكم بين ٤٨٥ و٤٦٥ ق.م.) والذي قص قصته سفر أستير. تقول الحكاية إن هامان، وزير الملك الفارسي، دبر مؤامرة لقتل اليهود في المملكة. إلا أن المؤامرة أفشلت عندما تزوج أحشويرش من أستير اليهودية بتدبير من عمها مردخاي. وقد مكن هذا الزواج أستير من إقناع الملك بأن يمد يد "الخلاص" لليهود ليس فقط بوقف المؤامرة والاكتفاء بقتل هامان وعشرة من أبنائه، بل بإطلاق يد اليهود في قتل كل مناوئيهم في مملكته. فقد روت الحكاية أن الملك كتب إلى اليهود في جميع أنحاء المملكة يطلب منهم أن "يهلكوا ويقتلوا ويبيدوا قوة كل شعب وكورة تضادهم حتى الأطفال والنساء وأن يسلبوا غنيمتهم"[3]. ويخبرنا السفر نفسه أن اليهود قتلوا "من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفا"[4]، وكان يوم

---

(١) سفر إشعياء ٤٥: ١-٣.

(٢) سفر عزرا ١: ٢-٤.

(٣) سفر أستير ٦: ١٢.

(٤) أستير ٩: ١٧.

الإبادة هذا يوم "شرب وفرح" لليهود ما زالوا يحتفلون به باسم عيد البوريم Purim.

وقد بين البحث العلمي الحديث مقدار ما في سفر أستير الذي كتب إما في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد أو بدايات القرن الأول من خرافات وأساطير (بما في ذلك حكاية أحشويرش وأستير)، إلا أن ما يهمنا هنا هو أنه ــ وبصفته جزءا من الكتاب المقدس ــ يرسم للمؤمنين به طريق "الخلاص" اليهودي القائم على دعامتين: إحداهما الاعتماد على قوة كبرى يلجأ إليها اليهود للوصول إلى أهدافهم، والأخرى أن يكون هذا الطريق معبَّدا بجثث "الآخر المغاير". كما أن هذا السفر بأساطيره يمكن أن يعد بمثابة رسالة تحذير لهذا الآخر المغاير بأن المصير الذي ينتظره هو المصير نفسه الذي لاقاه هامان، الوزير الفارسي، وشعبه بالمطلق.

تطبيق عملي:
اضطهاد المسيحيين في فارس
ودور اليهود فيه

وضعت أسس فكرة "الخلاص" على يد الفرس ــ كما بيّنا ــ في العهد الفارسي (ما بين ٥٣٩ و٣٣٣ ق.م) أي قبل ظهور السيد المسيح بقرون. غير أن النظرية وجدت تطبيقاتها العملية، بعد ظهور المسيحية، وبشكل أكثر تحديدا بعد أن تحولت الإمبراطورية الرومانية

(خاصة الشرقية التي عرفت بالدولة البيزنطية) إلى المسيحية رسميا في عهد الإمبراطور قسطنطين (حكم من ٣٠٦ إلى ٣٣٧م). فقد استغل اليهود الحروب البيزنطية ـ الفارسية[1] التي كانت سمة العلاقة بين هاتين الدولتين اللتين كانتا تتقاسمان الشرق فيما بينهما لتفريغ الأحقاد على المسيحيين تحت حماية الفرس أو بالتواطؤ معهم.

والمثل الأوضح والأكثر دلالة على هذه الحالة ما تعرض له المسيحيون في المناطق التابعة للدولة الفارسية في عهد الملك سابور الثاني Shapur II (٣٠٩ـ٣٧٩م) من اضطهاد بدءا من سنة ٣٣٧م وعلى مدى عقود عدة. وكانت المسيحية قد أخذت في الانتشار في المناطق التي كانت خاضعة لحكم الفرس منذ أواخر القرن الثالث الميلادي، وتكوّنت مجتمعات مسيحية فيها ذات أعداد وافرة، ومنها طيسفون (المدائن) عاصمة الدولة الفارسية، والتي كانت تتمتع بوجود أسقف فيها دلالة على الوضع المتميز والكثيف الذي كان عليه المسيحيون في تلك المدينة. إزاء ذلك شهد عهد سابور الثاني حلقة جديدة من سلسلة الحروب الفارسية ـ الرومانية، والتي تفردت عن سائر الموجات السابقة بأنها كانت الأولى التي خاضت فيها الدولة الفارسية حربها ضد الدولة البيزنطية المسيحية، بعد أن تحولت الدولة رسميا إلى المسيحية في عهد قسطنطين، ما انعكس سلبا على صيغة

---

(١) كانت تحكم المملكة الفارسية في تلك الفترة السلالة الساسانية التي ابتدأ حكمها سنة ٢٢٤م إلى أن انقرضت المملكة سنة ٦٥١ م في أثناء الفتوح الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين.

العلاقة بين الحكم الفارسي والمسيحيين الذين يقطنون المناطق التابعة له.

أقدم المصادر التاريخية التي تخبرنا عن تدهور العلاقة بين الطرفين هو ما كتبه المؤرخ الفلسطيني (من منطقة غزة) سوزومن Salaminius Hermias Sozomen الذي عاش ما بين ٤٠٠م و٤٥٠م، وبذلك كان قريبا من زمن وقوع حوادث الاضطهاد التي تعرض لها المسيحيون آنذاك.

يقول سوزومن إنه مع تزايد عدد المسيحيين والتوسع في بناء الكنائس وتعيين الكهنة والشمامسة، تعمق امتعاض المجوس منهم. وفي الوقت نفسه أثار هذا الأمر حفيظة اليهود "الذين هم بطبيعة الأمر معادون للدين المسيحي". ونتيجة ذلك، قام اليهود باتهام أسقف طيسفون، سمعان، أمام سابور بأن هذا الأسقف موال لقيصر الروم (الامبراطور البيزنطي) وبأنه ينقل إليه أخبار الفرس. وقد صدق سابور هذا الاتهام، وشرع في البداية بزيادة الضرائب على المسيحيين وأوكل جبايتها إلى رجال قساة، ثم اعتقل الأسقف نفسه (وقتله بعد مدة وهو في السجن) وأصدر أوامره بقتل الرهبان وهدم الكنائس. وحسب شهادة سوزومن "قام المجوس بالتعاون مع اليهود بتدمير بيوت العبادة"[1].

---

(1) *The Ecclesiastical History of Sozomen: Comprising a History of the Church, from AD 323 to AD 425,* translated from Greek and revised by Chester D. Hermias, book two, chapter IX (the electronic version maintained on www. Freewebs.com/vitaphone 1/ history/sozomen.html.

وبالإضافة إلى سوزومن وردت أخبار وتقارير عن هذه الحملة في غير مصدر قديم. ويلخص لنا المؤرخ الأميركي المعاصر جاكوب نيوسنر Jacob Neusner ما جاء في تلك المصادر[1] بأن الملك سابور أصدر أمرا بأن تضاعف ضريبة الرأس التي تجبى من المسيحيين في مملكته مرتين، وكان بذلك يحقق هدفين، أحدهما زيادة دخله لمواجهة نفقاته الباهظة في الحرب ضد البيزنطيين، والآخر اختباره لولاء المسيحيين لمملكته في مواجهتها الدولة البيزنطية التي يلتقي معها مسيحيو المملكة في الديانة. غير أن سمعان، أسقف العاصمة طيسفون (المدائن)، واجه هذا الأمر بشجاعة ورفض زيادة الضريبة بدعوى أن المسيحيين فقراء ولا يتحملون تلك الزيادة في الضرائب، وهم كانوا فعلا فقراء، إذ أن نسبة كبيرة منهم كانت من الكهنة والرهبان والراهبات. وقد دفع الأسقف ثمن شجاعته إذ زج به في السجن وقتل فيما بعد.

وقد سجلت هذه الحادثة بداية حملة الاضطهاد التي تعرض لها المسيحيون، والتي احتفظت عنها المصادر القديمة بصور فظيعة. فقد كان "المتهمون المسيحيون يسجنون لأشهر عديدة، وأحيانا لسنوات يخضعون خلالها للمساءلة مع إعطائهم فرصة للنجاة إذا تخلوا عن المسيحية، وقد كان الهدف الرئيسي من ذلك إقناعهم بالردة [عن المسيحية]. وكان الذين يقيمون على إيمانهم يعذبون ويعدمون بطرق شيطانية. فمنهم من كان يقطع إلى قطعتين، ومنهم من كانت تقطع

---

(1) Jacob Neusner, *A History of the Jews in Babylonia: The Age of Shapur II* (Leiden: E.J. Brill, 1969), pp. 24-27.

أعضاؤه عضوا عضوا، وفي بعض الحالات كان المسيحيون أنفسهم يجبرون على ذبح زملائهم في الدين، وكان حزّ الرأس من الأمور الشائعة". ويوضح هذا المؤرخ استنادا إلى مصادره القديمة أنه ليس هناك من إشارة إلى خيانة المسيحيين للدولة الفارسية التي كانوا يقيمون فيها، ولم تكن تبدو عليهم أي علائم تدل على أنهم قاموا بأي عمل تخريبي ضد الحكومة. وإلى ذلك، فهو يبرز دور تحريض اليهود ورجال الدين المجوس على تنفيذ هذه المجزرة التي استمرت سنوات وتعرض فيها المسيحيون لأعمال التعذيب والقتل، وهدمت خلالها معظم كنائسهم. وقد قدر سوزومن عدد المسيحيين الذي قتلوا في هذه الحملة من الاضطهاد بستة عشر ألفا من الرجال والنساء ممن عرفت أسماؤهم وأسماؤهن، بخلاف أعداد كبيرة أخرى من الناس مجهولي الهوية.[1]

استمرت هذه الموجة من اضطهادات المسيحيين، التي كان لليهود نصيب كبير فيها، إلى أن تولى يزدجرد الثاني Yezdegerd II الحكم في المملكة الفارسية سنة ٣٩٩م؛ إذ اتبع هذا مع المسيحيين في دولته سياسة اللين وأباح لهم حريتهم الدينية.

نماذج أخرى من التطبيقات

من الملاحظ تاريخيا أن اليهود كانوا باستمرار يمدون بأبصارهم إلى الفرس لعلهم يجدون فيهم سندا لصب نقمتهم القاتلة

(1) Sozomen, Book II, Chapter 14.

على المسيحيين. وكانت الحروب الفارسية ـ البيزنطية، وهي متعدّدة المراحل، الفرصة العظمى المتاحة أمامهم للولوج منها إلى ممارسة تلك النقمة بشكل عملي، إما موجهة إلى المواطنين المسيحيين وكهنتهم وكنائسهم، أو الإمبراطورية البيزنطية نفسها باعتبارها دولة مسيحية. ونورد هنا بعض النماذج:

في عهد الإمبراطور البيزنطي جوستنيان Justinian (حكم من ٥٢٧ إلى ٥٦٥م.) نشبت موجتا حرب بين دولتي المشرق العملاقتين: فارس وبيزنطة، الأولى من ٥٢٧ إلى ٥٣٢م. والثانية من ٥٤٠ إلى ٥٦٢م (مع فترة هدنة استمرت من ٥٥١ إلى ٥٥٦م). وفي الحالتين لم يفوّت اليهود الفرصة لصب نقمتهم القاتلة على المسيحيين، مع مد أيديهم إلى الفرس ليكونوا عونا لهم.

في الموجة الأولى من الحرب اقترب الفرس من أبواب القسطنطينية سنة ٥٢٩م فاغتنمها السَمَرة (السامريون Samaritans)[١] فرصة، وقد كان تمركزهم الأكبر في شكيم أو نيابوليس Neapolis

---

(١) السامريون أو السمرة Samaritans طائفة دينية يعتقد المنسوبون إليها أن أصولهم تعود إلى قبيلتي أفرايم ومنسّه (من قبائل "بني إسرائيل"). وهم يرون أن أسلافهم بقوا في فلسطين بعد أن اجتاحها الآشوريون بحملتهم سنة ٧٢٢ ق.م. وبذلك تجنبوا النفي الذي نجم عن تلك الحملة. وهم يؤمنون بالأسفار الخمسة الأولى فقط من أسفار الكتاب العبري البالغة ٣٩ سفرا. أما جبلهم المقدس فهو جبل جرزيم (عند نابلس) ويرون أن "الهيكل" كان قد أقيم عليه، وليس كما يعتقد اليهود بأنه بني على ما يسمونه "جبل الهيكل" في أورشليم، وهو الجبل المقام عليه الحرم القدسي الشريف.

(نابلس المعاصرة)، لمهاجمة المسيحيين. وقد ابتدأت الأعمال المسلحة من جانب السمرة عندما أعلن زعيم لهم، هو جوليان Julian، نفسه ملكا عليهم وكاهنا أعلى مع مسحة مسياحية سامرية Samaritan Messiah اقتنع بها أنصاره[1]. وقد أعقب ذلك قيام هؤلاء بالاتصال بالفرس طلبا للمساعدة، وأعربوا في الوقت نفسه عن استعدادهم لتقديم قوات ضخمة لمساعدتهم في حربهم مع البيزنطيين[2]. غير أن الفرس كانوا في شغل عنهم وهم في حربهم مع بيزنطة، فأخذ السمرة على عاتقهم وحدهم مهمة القيام بمجزرة في محيط نابلس ومناطق قريبة منها، فقتلوا أعدادا كبيرة من المسيحيين وأحرقوا كنائسهم ونشروا الخراب على شكل واسع[3]. ولم تتمكن القوات البيزنطية المحلية في فلسطين من السيطرة على الأوضاع واستعادة الهدوء بعد هذه المجزرة إلا بصعوبة كبيرة.

ومن المفارقات في هذه الحادثة أن سمرة عديدين (قدرت بعض المصادر القديمة عددهم بخمسين ألفا، وهو بالتأكيد رقم مبالغ فيه) هربوا من فلسطين، بعد أن سيطرت القوات البيزنطية على الأوضاع فيها، والتجأوا إلى قباذ، ملك فارس في ذلك الوقت، ووعدوه أن يحكّموه في مناطقهم (في فلسطين) وأن يسلموا إليه جميع

---

(1) Robert Browning, *Justinian and Theodora* (Gorias Press, 2003), p. 59.

(2) James Parkes, *The Conflict of the Church and Synagogue: A Study in the Origins of Anti-Semitism*, Second Printing (Cleveland and New York: Meridian Books, 1964), p. 257.

(3) Alan David Crown, *The Samaritans* (Tubingen: J.C.b. Mohn, 1989), p. 74.

الأماكن المقدسة فيها. إلا أن أملهم في قباذ كان في غير محله، إذ أمر ملك فارس باسترقاق السمرة اللاجئين لديه، وإرسالهم إلى أرمينيا (وكانت تحت سيطرته) ليعملوا هناك في مناجم المعادن النفيسة[١].

ومجزرة أخرى حدثت في أثناء هذه الحرب (وهذه المرة في مرحلتها الثانية) عندما انتهت الهدنة بين بيزنطة وفارس (التي كنا قد أشرنا إليها) سنة ٥٥٦م وتجدد القتال بين الطرفين. فقد استغل اليهود ما اعتبروه انشغال البيزنطيين في الحرب وقاموا بالتحالف مع السمرة بمهاجمة السكان المدنيين المسيحيين أولا في قيسارية على الساحل الفلسطيني، فقتلوا أعدادا كبيرة منهم ونهبوا كنائسهم وأحرقوها، ثم مدوا اعتداءاتهم إلى المناطق المحيطة حتى وصلوا إلى بيت لحم وأشعلوا النيران في كنيسة المهد وهدموها[٢]. وتصف المصادر ما حدث أنذاك بأنه كان "مجزرة بحق السكان المسيحيين"[٣].

وتكرّرت مثل هذه المجازر في مراحل أخرى من تاريخ الحروب الفارسية البيزنطية. ففي آخر موجات هذه الحروب (٦٠٢-٦٢٨) نشبت ثورة داخلية في الدولة البيزنطية (سنة ٦٠٨م) كان على رأسها هرقل Heraclius الذي تمرد على الإمبرطور فوكاس بسبب ما لاقاه الإمبراطور من هزائم مشينة أمام الفرس، وأيضا لما كان

---

(١) نفسه، ص. ٧٥.

(٢) فسه، ص. ٧٦.

(3) James Parkes, *op. cit,* p. 259.

يتصف به هذا من استبداد وطغيان. وقد استمر الصراع العسكري بين الرجلين سنتين قبل أن يحسمه هرقل لمصلحته، فيقتل خصمه ويتوّج أمبراطورا (سنة ٦١٠). وفي هذه الأثناء شدّد الفرس هجماتهم على مناطق الدولة البيزنطية ووصلوا فيها قرب مدينة أنطاكية على ساحل البحر الأبيض المتوسط. وقد استغل يهود أنطاكية فرصة هذا الصراع البيزنطي ـ الفارسي الدامي، وأيضا اقتراب الفرس من المدينة، فنفذوا مجزرة دموية أخرى بحق السكان المسيحيين فيها (٦٠٨/٦٠٩م). كانت المجزرة واحدة من أبشع ما تعرّض له المسيحيون من اعتداءات، إذ قتل اليهود أعدادا كبيرة منهم وحرقوا منازلهم وبعض كنائسهم، وأكثر من ذلك أنهم وجهوا حقدهم الدامي باتجاه بطريرك أنطاكية أنستازيوس الثاني Anastasius II فقتلوه وقطعوا عضوه المذكر ودسوه في فمه، وقاموا بجره في شوارع أنطاكية[1]. ولخيبة أمل اليهود لم يصل الفرس إلى أنطاكية في تلك السنة، وتمكنت قوة بيزنطية في المنطقة من وقف اعتداءاتهم الوحشية وإعادة الهدوء إلى المدينة.

وبعد سنوات قليلة من هذه المجزرة تعرّضت كنائس المسيحيين في منطقة صور (على الساحل اللبناني) للتحريق والهدم على أيدي اليهود. حدث ذلك سنة ٦١٣م عندما كانت نسبة كبيرة من القوات البيزنطية قد انسحبت من سوريا للدفاع عن القسطنطينية التي

---

(1) *The Chronicle of Theophanes the Confessor* (Oxford: Clarendon Press, 1997), p. 425, cited in: Ra'anan S. Boustan, *Violence, Scripture and Textual Practice in Early Judaism and Christianity* (Leiden: Brill, 2010), pp. 221-222.

كانت تواجه هجوما فارسيا كبيرا، وكان الجـيش الفارسـي قـد اسـتولى على مناطق شاسعة من سوريا ليتجـه منهـا نحـو الجنـوب فـي اتجـاه فلسطين. وكانت تلك فرصة ليستفرد اليهـود بالـسكان المـسيحيين. فقـد تمّت اتصالات مكثفة بينهم شملت يهـود فلـسطين ودمـشق لكـي يلتقـوا حول مدينة صور ويقوموا باقتحامهـا. وبالفعـل تجمعـت أعـداد كبيـرة منهم حول المدينة، إلا أن أهل صور بزعامة أسقفها تمكنـوا مـن إفـشال الهدف، عندما قاموا بتشديد الدفاعات عن المدينـة وألقـوا القـبض علـى عدد من أثرياء اليهود فيها. وإزاء ذلك شـرع اليهـود بـإحراق الكنـائس المسيحية في المناطق المحيطة بـصور، ورد الـسكان المحاصـرون فـي المدينة بأن كانوا يقتلون عددا من اليهود ممّن هم فـي قبـضتهم، ويلقـون بجثثهم من فوق الأسوار. وقد بلغ عـدد الكنـائس التـي أحرقهـا اليهـود في هذا الحصار وحولوها إلى رماد عشرين كنيسة. ولـم ينتـه الحـصار إلا بعد أن ترددت أخبار عن قرب وصـول قـوة بيزنطيـة إلـى صـور، ما جعل اليهود يتراجعون عنها ليلتحقوا بـالقوات الفارسـية التـي كانـت آنذاك متجهة نحو القدس[1].

شـكل الفـرس إذن مظلـة لليهـود ليرتكبـوا مجـازرهم بحـق المسيحيين، غير أن مجزرة القـدس التـي سـنعرض لهـا بتفـصيل فـي الفصل الرابع كانت الأكثر دلالة على هذا الشأن.

---

(1) Henry Hart Milman, *The History of Jews from the Earliest Period to the Present Time* (New York: J&J Harper, 1832), Vol. III, p. 197.

الفصل الثالث

محرقة المسيحيين في نجران

٥٢٣م

المصادر

حدثت المحرقة سنة ٥٢٣م عندما نفذ اليهود في جنوب الجزيرة العربية مجازر عدة في حق مسيحيي تلك المنطقة أودت بحياة الآلاف منهم إما قتلا بالسيف أو إبادة بالحريق. وكان أشدها فظاعة ما حدث في نجران التي أعطت اسمها عنوانا لتلك المجازر.

والمحرقة جاء ذكرها في القرآن الكريم، في سورة البروج التي خصص معظمها للإخبار عنها:

> "قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد. إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز العظيم".

وقد جاء ذكر الحادثة (أو الحوادث) هذا مجملا دون تفصيل، لكنه يبين أن هناك من تعرضوا للقتل بالحريق (وهم رجال ونساء)، دون أن يبلغنا القرآن الكريم من هم هؤلاء، ولكنه يشهد لهم بإيمانهم

ويبشرهم بالجنة. كما يرد ذكر من قاموا بأعمال القتل وقد لعنهم القرآن الكريم وتوعّدهم بعذاب جهنم.

ولأن الأمر قد جاء مجملا هكذا دون تفصيل فقد اختلف أصحاب التفسير الأقدمون في من هم المقصودون بأصحاب الأخدود، فأوردوا روايات مختلفة عنهم بعضها خيالي وما يشبه القصص ذات المضمون الأسطوري. لكن في مقابل ذلك نرى في الثنايا أنهم أوردوا روايات كانت قد وصلتهم عن حقيقة هذا الحدث التاريخي لكن بإجمال لا يخلو من اضطراب أحيانا.

وما يلفت الانتباه في هذه الروايات الأخيرة أن محورا رئيسيا من محاورها كان الضحاك بن مزاحم الهلالي، وهو تابعي وقد وصف بأنه كان إماما في التفسير، وقد اختلف في سنة وفاته ما بين ١٠٠ و١٠٥ للهجرة. فما رواه الطبري (في جامع البيان في تفسير القرآن) عن الضحاك "أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل، أخذوا رجالا ونساء فخدوا لهم أخدودا، ثم أوقدوا فيه النيران، فأقاموا المؤمنين عليها، فقالوا تكفرون أو نقذفكم في النار". ولا تفصح هذه الرواية عن ديانة هؤلاء المؤمنين، كما يغيب عنها تسمية المكان الذي وقعت فيه هذه الحادثة.

أما الرواية التي أوردها القرطبي (في الجامع لأحكام القرآن) عن الضحاك فهي أكثر تحديدا فيذكر أن من تعرضوا للقتل "هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة، أخذهم يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري، وكانوا نيفا وثمانين رجلا، وحفر لهم أخدودا وأحرقهم فيه"، ويستكمل القرطبي

قصته فيما نقل عن الثعلبي عن الماوردي من "أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل".

أما البيضاوي (في أنوار التنزيل وأسرار التأويل) فيتفق بالإجمال مع هذه الرواية فيذكر لكن دون إسناد لروايته أنه "قيل لما تنصرت نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فأحرق في الأخاديد من لم يرتد".

ولا يفصح هؤلاء الرواة الذين نقل عنهم المفسرون عن مصادرهم، لكن ما يبدو محتملا أنهم كانوا قد أخذوا أخبارهم بالرواية الشفهية عن أهل اليمن أنفسهم، وليس بمستبعد أن يكون هؤلاء من المسيحيين اليمنيين الذين كانت أخبار تلك المجزرة قد انتقلت إليهم إما بالرواية الشفهية، وهو ما نظن أنه الأغلب، أو ربما كانوا قد اطلعوا على تراث لهم مكتوب فنقلوا عنه.

وتختلف عن ذلك الروايات المسندة إلى محمد بن إسحق (ت. سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م) وهو من أقدم المؤرخين العرب، فهو يعين مصادره وينسب معلوماته مباشرة إلى أصحابها. والمثل الأبرز على ذلك هو ما رواه عن المجزرة ومتعلقاتها في كتابه عن السيرة النبوية كما وصلت إلينا بعمل ابن هشام[١]. فابن إسحق ينسب أخباره، على الأغلب، إلى وهب منبه (ت. سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م)، وهو يمني من

---

(١) الطبعة التي نستند إليها هنا: أبو محمد عبد الملك بن هشام، **سيرة النبي صلى الله عليه وسلم** (طنطا: دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، ١٩٩٥).

الأبناء[1]، وصاحب معرفة بتاريخ اليمن، كما كان يعرف اللغتين العبرية والسريانية، وقد عرف في زمنه بكتابه "ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم"[2].

كذلك يروي ابن إسحق عن "بعض أهل نجران" وقد أخذ منهم شفاهة. كما يظهر في بعض رواياته أنه يسند بعض أخباره إلى محمد بن كعب القرظي (نسبة إلى قريظة من يهود المدينة)، وقد نشأ محمد في المدينة وأصبح من أفاضل أهلها علما وفقها وتوفي فيها إما في

---

(١) الأبناء مصطلح عني به أبناء الفرس الذين أسلموا وكان أسلافهم قد شاركوا في الحملة الفارسية على اليمن في حوالي سنة ٥٧٦م بعد أن استنجد الأمير سيف ابن ذي يزن بالفرس لتخليص اليمن من حكم الأحباش. انظر عن الأبناء تفصيلا: عصام سخنيني، "أبناء الفرس المسلمون في اليمن: نموذج دراسي لسمة الاستيعاب الأقوامي في الحضارة العربية ـ الإسلامية"، مجلة **المنارة للبحوث والدراسات** (جامعة آل البيت، المجلد الثالث عشر، العدد السابع، أيلول ٢٠٠٧)، ص ص. ١١-٥٢.

(١) ترجمة وهب بن منبه لدى: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، تاريخ مقدمة المحقق ١٩٦٨)، م. ٦، ص ص. ٣٥-٣٦؛ كذلك انظر عنه: شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام**، ط. ٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩)، ج. ١، ص ص. ١٣٧-١٣٩.

سنة ١٠٨ أو سنة ١١٧هـ (٧٢٦ أو ٧٣٥م)[1]، ويمكن أن يتوقع المرء أن يكون لديه معرفة بتاريخ اليهود (في اليمن وهو ما يعنينا هنا) انتقلت إليه من أسلافه. وهكذا فقد تجمعت لدى ابن إسحق معلومات عن الحادثة، وما يتصل بها، من مصادر يمكن وصفها بـ"الأولية" صاغ بموجبها أخباره عن المجزرة التي وقعت في اليمن.

ويمكن تلخيص هذه الأخبار التي أوردها ابن إسحق (برواية ابن هشام)[2] بأن المسيحية دخلت اليمن، ونجران على الخصوص، عن طريق رجل من الشام يسميه فيميون، كما جاء في بعض الأخبار، أو آخر يسميه عبد الله بن الثامر، كما ورد في بعضها الآخر، وفي تاريخ لم يعينه ابن إسحق. ويفهم من هذا المؤرخ أن انتشار المسيحية كان واسعا هناك حتى عمت نجران بأجمعها. وكانت حمير تحت حكم ملك يسميه ابن إسحق لخنيعة اتصف بالفسق والفجور فقتله فتى يسميه المؤرخ "ذو نواس" وتملك مكانه. وكان هذا يهوديا وقد تسمى بيوسف، وهاجم بجنوده أهل نجران المسيحيين و"دعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل، فخد لهم الأخدود، فحرق من حرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا". وكان ممن قتل عبد الله بن الثامر المذكور أعلاه.

---

(١) ترجمته لدى: عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، **الأنساب**، تحقيق وتعليق عبد الله عمر البارودي (بيروت: دار الجنان، ١٩٨٨)، ج. ٤، ص. ٤٧٥؛ وانظر كذلك: شاكر مصطفى، ج, ١، ص. ١٣٧.

(٢) ابن هشام، المصدر المذكور، م. ١، ص ص. ٦٧-٧٥.

واستكمل ابن إسحق القصة بأن أورد أن رجلا من سبأ يقال له دوس بن ثعلبان توجه إلى قيصر ملك الروم يستنصره على "ذو نواس"، وأخبره بما حدث في بلاده، فحمله القيصر رسالة إلى ملك الحبشة، وكان مسيحيا، يطلب منه أن يثأر لمن قتلوا، فقام هذا الأخير بإرسال جيش إلى اليمن بقيادة أرياط، تمكن من إلحاق الهزيمة بـ"ذو نواس" الذي هرب حتى وصل إلى البحر حيث غرق فيه.

ذلك هو مجمل ما روى ابن إسحق، نقلا عن مصادره، عن الحادثة، مع تلوينات تفصيلية لا تخلو من أبعاد أسطورية نجدها إن توسعنا في قراءة رواياته. والأخبار نفسها بمضمونها وتفصيلاتها نجدها عند الطبري في تاريخه، إذ يعود إلى ابن اسحق كمصدر يكاد يكون وحيدا لمروياته بغض النظر عن سلاسل الأسانيد المختلفة التي أوردها[1].

وواضح من هذا العرض السريع لبعض المصادر العربية أن جوهر الحقيقة التاريخية عن الحادثة مدار البحث هنا كان معروفا لدى المؤرخين والمفسرين العرب، فهو بجملة واحدة حدوث مجزرة/ محرقة ارتكبها اليهود بحق المسيحيين في اليمن. وغير ذلك حدثت حول هذا الجوهر اختلاطات واجتهادات غير مبنية على أساس، وألوان من الاضطراب في معرفة التفاصيل التي شابها في كثير من

---

(١) انظر في ذلك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك – تاريخ الطبري** (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٥)، م. ١، ص ص. ٣٧٦-٣٨٠.

الأحيان تلوينات أسطورية. ويتضح ذلك جليا عند العودة إلى قراءة النصوص العربية في هذا الشأن بكل تفصيلاتها. وبغير شك، فإن تراخي الزمن ما بين وقوع الحادثة وتدوينها عربيا (والذي زاد في حده الأدنى على قرنين ونصف القرن) كان الحاضنة التي ترعرعت فيه تلك الاختلاطات، خاصة وإن الرواية الشفهية كانت هي القناة الرئيسية للوصول إلى مرحلة التدوين بكل ما يعتور هذا النوع من عملية نقل الأخبار والمعلومات من أخطاء وزيادات وحذف.

وبخلاف ذلك وصلت إلينا مواد وثائقية تعود إلى زمن الحادثة نفسها كان قد كتبها معاصرون لها ورووا فيها عن شهود عيان ما رأوه فعلا، أو سمعوه مباشرة من أناس كانوا على صلة بالتطورات التي حدثت. وتعطينا هذه المواد الوثائقية صورة أكثر تفصيلا مما كتبه المؤرخون العرب الأوائل عن الحادثة.

أبرز هذه المواد وأكثرها التصاقا بالحدث هي ما كتبه سمعان الأرشمي Simeon of Beth-Arsham وهو أسقف فارسي (توفي حوالي سنة ٥٤٠م) عاصر الأحداث الدامية في جنوب الجزيرة العربية واطلع عن كثب على مجرياتها، من خلال ما كان ينقله إليه أهل نجران ممن نجوا من المحرقة، وأيضا من خلال الرسالة التي اطلع عليها وقد كتبها الملك الحميري اليهودي الذي نفذ المجزرة إلى المنذر ملك اللخميين في الحيرة، يحضه فيها على التعامل مع المسيحيين لديه بمثل ما تعامل هو مع مسيحيي نجران. وقد قام سمعان الأرشمي بحملة واسعة (ضمن جولات عديدة في المشرق وبرسائل عدة كتبها إلى زعماء الكنيسة المسيحية في المنطقة) لإقناع

العالم المسيحي في المشرق بالانتقام لمن سقطوا في المجزرة من رفاقهم في الدين وتخليص مسيحيي جنوب الجزيرة العربية من الاضطهاد الذي تعرّضوا له على أيدي اليهود.

وقد وصل إلينا مما كتبه الأسقف سمعان رسالتان وكتاب (في الأصل باللغة السريانية) عن المجزرة وما يتصل بها. رسالة من تينك الرسالتين كتبها الأسقف سمعان في أعقاب المجزرة مباشرة (٥٢٣م) من الحيرة عاصمة اللخميين في العراق الحالي ووجهها إلى سميه الأرشمندريت سمعان في مدينة غابولا، إلى الشرق من حلب، وقد وردت بنصها، وإن كان بتعديلات طفيفة، في غير مصدر تاريخي قديم. وسوف نعتمد في هذا البحث على نص هذه الرسالة التي تضمنها كتاب "الحوليات السريانية" للمؤرخ المعاصر للحدث زكريا (زخريا) المتيليني Zakharia of Mitlylene وهو مواطن من غزة درس القانون في بيروت والقسطنطينية، وتنقّل في المشرق إلى أن أصبح أسقفا في متيلين عاصمة إحدى الجزر اليونانية في بحر إيجة فنسب إليها[١].

الرسالة الأخرى كتبها الأسقف سمعان في الجابية في الجولان (عاصمة الغساسنة وكانت آنذاك تحت حكم ملكهم جبلة)

---

(١) النص المعتمد هنا هو ما جاء في:

The Syriac Chronicle known as that of Zacharia of Mitylene, translated into English by F.J. Hamilton and E.W. Brooks (London: Nethuen & Co., 1899), Book XIII, Chapter III, pp. 192-203.

وبعث بها من هناك إما إلى سمعان أسقف جابولا (وهو الأغلب) أو إلى سيفيريوس Severus بطريرك أنطاكية الذي كان آنذاك في مصر[١]. وهذه الرسالة تشمل معلومات إضافية عن تلك الواردة في الرسالة السابقة وتفصيلات أخرى عن المجازر في جنوب الجزيرة العربية. وقد كتب الأسقف سمعان هذه الرسالة سنة ٥٢٣م[٢].

وبالإضافة إلى هاتين الرسالتين اللتين وصلتا إلينا هناك كتاب على غاية من الأهمية يغطي تطورات الأوضاع التي نتناولها هنا من بداياتها الأولى إلى أن انتهت بتغلب الأحباش في حملة لهم على جنوب الجزيرة سنة ٥٢٥م، وبمقتل الملك الحميري المتهود. وقد جاء الكتاب (الذي كتب في الأصل بالسريانية) بعنوان "كتاب الحميريين" أو بترجمته الإنجليزية The Book of the Himyarites.[٣]

---

(١) الرسالة نشرت مترجمة من السريانية إلى الإنجليزية (مع دراسة موسعة لها) في:

Irfan Shahid, *The Martyrs of Najran: New Documents* (Bruxelles: Societe des Bollandistes, 1971), pp. 43-64. (Hereinafter: Shahid, *Martyrs*).

(٢) جعل شهيد، (ص. ٢٣٥) تاريخ هذه الرسالة سنة ٥١٩م، إلا أن هناك دراسات لاحقة لدراسته أكدت أن الرسالة كتبت في العام ٥٢٣م. انظر في ذلك:

K.A. Kitchen, *Documentation for Ancient Arabia: Part I – Chronological and Historical Sources* (Liverpool: Liverpool University Press, 1994), p. 4.

(3) *The Book of the Himyarites: Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work,* edited with introduction and translation by Axel Moberg (Oxford University Press, 1924). →

وتبين المعلومات الواردة فيه أنه ألف بعد وقت قصير من انتهاء حملة الأحباش على المنطقة (٥٢٥م)، وبذلك فإن مؤلفه كان بالتأكيد معاصرا لجميع التطورات التي حدثت.

ولا يتضح مما بقي من الكتاب اسم مؤلفه، وإن كان محرر الكتاب ومترجمه من السريانية إلى الإنجليزية يرجح أن يكون هو المدعو سيرجيوس أسقف الرصافة Sergios of Rusafa،[1] التي كانت تقع قرب الرقة على نهر الفرات. غير أن عرفان شهيد يقدم حججا مقنعة، يسندها إلى مقارنة كتاب الحميريين بالرسالتين سابقتي الذكر، تذهب إلى تأكيد أن مؤلف هذا الكتاب هو الأسقف سمعان الأرشمي صاحب الرسالتين[2].

ومن المواد الوثائقية الأخرى التي تتحدث عن المجازر وتطورات الأوضاع قبلها وبعدها كتاب غير محدد التاريخ، وإن كانت هناك دلائل يستنبط منها أنه ألف حوالي منتصف القرن السادس الميلادي، أي بعد سنوات قليلة من حدوث المجازر وما تلاها من تطورات. عرف الكتاب الذي كتب في الأصل بالسريانية بعنوان *Martyrium Arethae* (مزار الشهيد الحارث) الذي يخلد استشهاد

←وعند استخدامنا هذا الكتاب هنا في هذه الدراسة فسوف نحيل معلوماتنا إليه بطريقتين: إحداهما بالإحالة إلى اسم مترجم الكتاب ومحرره Moberg عندما تكون المعلومات مستقاة من مقدمة الكتاب، والأخرى إلى *The Book of the Himyarites* عندما تكون المعلومات مستقاة من متن الكتاب نفسه.

(1) Moberg, pp. LXVI-LXVII.

(2) Shahid, *Martyrs, op. cit.*, pp. 132-135.

الحارث بن كعب (عادة يرسم اسمه في المصادر اليونانية واللاتينية القديمة Arethae أو Aretha أو Arethas) أبرز قادة المسيحيين في نجران، وقد قتل فيمن قتل في المجزرة التي ارتكبها اليهود فيها. وفي الكتاب تفصيلات وإضافات لا نجدها في المواد الوثائقية الثلاث التي سبق ذكرها[١].

وواضح أن هذه المواد الوثائقية الأربع مكرسة للمجزرة وما يتصل بها من تطورات. غير أننا نجد معلومات عنها في مصادر التاريخ العام القديمة، والأهم منها بلا شك تلك المعاصرة للحدث أو القريبة منه زمنيا. ومنها ما كتبه بروكوبيوس Procopius المؤرخ البيزنطي (من قيسارية Caesarea في فلسطين، عاش بين ٥٠٠ و٥٦٥م) في كتابه عن تاريخ الحروب، إذ نجد لديه (وهو المعاصر للحدث) معلومات لا يستغنى عنها لدى التأريخ للحادثة التي نحن بصددها[٢].

---

(١) أورد Moberg, *op. cit.*, pp. XXVI-XXXVI اقتباسات عدة من الكتاب؛ كذلك وردت دراسة تحليلية موسعة عن الكتاب مع تلخيصات لمضمونه لدى:

Shahid, *Martyrs, op. cit.*, pp. 181-231.

(2) Procopius, *History of the Wars: Books I and II*, translated into English by H.B. Dewing (London: William Heinemann and New York: The Macmillan Co., MCMXIV), pp. 189-195.

اليهودية والمسيحية
في جنوب الجزيرة العربية

تحاط بداية وجود اليهودية في جنوب الجزيرة العربية بأساطير عديدة تجعل اليقين فيها صعب المنال. فقد روت أسطورة أن هذه البداية تعود إلى عهد النبي سليمان، عندما اصطحبت ملكة سبأ بعضا من اليهود معها عند عودتها إلى بلادها بعد زيارتها المزعومة لبلاطه[١].

وتذهب حكاية أخرى إلى أن بداية الوجود اليهودي هناك إنما كانت في زمن دمار ما يسمى الهيكل الأول على يد البابليين الذي يقع حسب الكرونولوجيا التوراتية سنة ٥٨٦ ق.م. عندما غادر خمسة وسبعون ألف يهودي البلاد إلى اليمن واستقروا فيها[٢].

وليس هناك من دليل تاريخي يؤكد صحة تلك الحكايات. وعلى ذلك يتجه رأي إلى أن المعلومات الأولى عن الوجود اليهودي في اليمن إنما تعود إلى بدايات القرن الثالث الميلادي[٣]، أي بعد مضي قرون عديدة على ما زعم عن تاريخ البدايات في تلك الأساطير.

---

(1) Barak Barfi and Yael Katzir, "Jews in Yemen", *Encyclopedia of the Jewish Diaspora: Origins, Experiences and Culture* (Santa Barbara: ABC-Clio. LLS, 2009), Vol. III, p. 793.

(2) Sidney Mendelssohn, *The Jews of Asia* (BiblioLife, LLC), p. 165.

(3) Yosef Tobi, *The Jews of Yemen: Studies in their History and Culture* (Leiden: Brill, 1999), p. 3.

أما المصادر العربية فتجعل بداية وجود اليهودية في اليمن في زمن الملك الحميري تُبَّع تبان أسعد أبو كَرِب بن ملكيكرب الذي غزا يثرب (المدينة المنورة فيما بعد) لكنه عجز عن اقتحامها، فأقنعه يهود فيها بفك الحصار عنها، فعاد إلى بلاده وقد اصطحب معه حبرين من يهودها أقنعاه بالتحول من الوثنية إلى اليهودية، فتهوّد وتهوّد معه ناس من حمير، وكان ذلك "أصل اليهودية باليمن" كما تقول هذه المصادر[١]. وكانت هذه الحادثة، وفق بعض الكتابات الحديثة، قد وقعت سنة ٣٨٠م[٢].

ومهما يكن الأمر فإن ما هو مؤكد أن الوجود اليهودي في جنوب الجزيرة العربية، خاصة بين الحميريين، كان كثيفا في العقدين الأولين من القرن السادس الميلادي، تحت حكم ملك يهودي، أو متهود، كان بإمكانه أن يرتكب، هو وأتباعه من اليهود، تلك المجزرة الفظيعة ضد المسيحيين هناك (وهو ما سوف يدور عليه البحث في صفحات لاحقة من هذا الكتاب).

أما المعلومات عن بدايات الوجود المسيحي في جنوب الجزيرة العربية فلا تقل غموضا ولا اضطرابا عن تلك المتصلة ببدايات اليهودية. المصادر العربية تذكر أن بداية المسيحية هناك كانت عندما اعتنقها أحد ملوك حمير، عبد كلال بن مثوب، على يد

---

(١) رواية محمد بن إسحاق كما هي لدى: ابن هشام، ج. ١، ص ص. ٥٤-٦٣؛ والطبري، م. ١، ص ص. ٣٧٠-٣٧٢.

(2) Barfi and Katzir, *op. cit*, p. 793.

رجل من غسان قدم عليه من الشام، إلا أن هذا الملك أخفى ديانته المسيحية عن قومه[1]، وكان ذلك وفق بعض الكتابات الحديثة سنة ٢٧٥م[2]. وبذلك لا تعد هذه الحادثة ـ إن صدقت الرواية ـ دليلا على انتشار المسيحية هناك آنذئذ.

غير أن وهب بن منبه، فيما نقله عنه محمد بن إسحاق، يروي أن انتشار المسيحية هناك كانت على يد رجل يسميه فيميون، وأصله من بلاد الشام وقد استرق وبيع في نجران فنشر فيها المسيحية[3]. فهل فيميون هذا هو "شمعون الكنعاني"، الذي يكتب أحيانا "سيميون" Simeon فجرى عليه تصحيف في الرسم بإحلال الفاء محل السين، وهو الذي يرد في كتاب *Martyrium Arethae* (المشار إليه أعلاه) وينسب إليه صاحبه الفضل الأول في نشر المسيحية في نجران؟[4] قد يكون الأمر كذلك، غير أننا لا نعرف، لا من المصدر العربي ولا من الآخر المسيحي، متى كان ذلك.

وبخلاف ذلك يمكن التفكير بتأثير الحبشة على بدايات الوجود المسيحي في جنوب الجزيرة العربية. فقد قامت أكسيوم Axum (الاسم الذي كان يطلق قديما على الحبشة) بغزو جنوب الجزيرة

---

(١) الطبري، م. ١، ص. ٣٦٢.

(2) James William H. Stobert, *Islam and its Founder* (Braithwaite Press, 2008), p. 24.

(٣) الرواية مطولة لدى: ابن هشام، ج. ١، ص ص. ٦٨-٧١.

(٤) انظر عنه: Irfan Shahid, *Martyrs*, p. 204.

العربية بما فيها نجران سنة ٣٣٥م، وكانت أكسيوم آنذاك تحت حكم ملكها عيزان (حكم من ٣٢٠ إلى ٣٥٠م)، الذي كان أول من اعتنق المسيحية من ملوكها[١]. وقد دام الاحتلال الأكسيومي للمنطقة نحوا من ٤٣ سنة إلى عام ٣٧٨م. أفلم يكن لذلك من نتائج على اعتناق بعض سكان المنطقة المسيحية بتأثير من هذا الاحتلال؟ ربما.

وقد يعزز هذا الاحتمال أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثاني Constantinus II (حكم من ٣٣٧-٣٦١) أرسل في هذه الفترة بالذات (حوالي سنة ٣٤٠م) رسولا من القسطنطينية إلى جنوب الجزيرة العربية وهو المسمى ثيوفيلوس الهندي Theophilus the Indian (إذ كان قد ولد في المالديف في المحيط الهندي)، والذي تمكن من أن يعزّز الوجود المسيحي هناك ببناء ثلاث كنائس: واحدة في ظفار، وأخرى في عدن، وثالثة مشكوك في أمر موقعها وإن كان يظن أنها كانت في هرمز عند مدخل الخليج العربي[٢].

غير أن صاحب "كتاب الحميريين" (وقد أشرنا إليه قبل) ينسب فضل بداية المسيحية في نجران إلى من يسميه "حيان" الذي يصفه بالمعلم، فقد كان هو ـ كما قال ـ الذي "زرع المسيحية" هناك[٣]. ولا يخبرنا المؤلف متى كان ذلك. غير أن ثمة نصا تاريخيا

---

(1) J.D. Fage with William Tordoff, *A History of Africa*, 4th Edition (New York: Rutledge, 2002), p. 53.

(2) Aloys Grillmeier, *Christ in Christian Tradition: Vol. 2, Part Four – The Church of Alexandria with Nubia and Ethiopia after 451*, Translated by O.C. Dean (Louisville: Westminster John Knox Press. 1996), p. 306.

(3) *The Book of the Himyarites*, p. CXXII.

ثمينا يلقي ضوءا على حيان هذا وصنيعه في إدخال المسيحية نجران. النص هو من ضمن مجموعة تاريخية عرفت باسم الحوليات النسطورية من سارد Nestorian Chronicle from Saard والتي جمعت حوالي سنة ١٠٣٥م من مخطوطات مفقودة الآن وتضم مواد تاريخية متفرقة. النص يقول إن حيان هذا كان تاجرا من نجران، وفي عهد الملك الفارسي يزدجرد سافر إلى القسطنطينية، وعاد منها إلى بلاده مارا بالحيرة (عاصمة اللخميين في العراق) حيث أخذ يتردد هناك على بعض المجموعات المسيحية التي تعلم منها الدين المسيحي. وقد جرى تعميد حيان في تلك الأثناء، وعاد بعد ذلك إلى نجران حيث أقنع أسرته وأعدادا من سكان المدينة باعتناق المسيحية، كما نشر هذا الدين في المناطق المجاورة[١]. ويسهل علينا النص معرفة تاريخ هذه الواقعة بالتقريب، إذ إن يزدجرد الأول حكم من ٣٩٩ إلى ٤٢٠م، وبذلك فإن ظهور حيان على المسرح يقع في وقت ما بين هاتين السنتين.

وتقاطع هذه الأخبار يقربنا من إطلاق حكم بنوع من الاطمئنان بأن المسيحية قد ضربت جذورها في جنوب الجزيرة العربية في القرن الخامس الميلادي، بل شهدت انتشارا ملموسا هناك، لدرجة تطلبت وجود أسقف هناك وهذا ما فعله الإمبراطور البيزنطي أنستازيوس الأول Anastasius I (حكم ٤٩١-٥١٢م) الذي أرسل أسقفا إلى الحميريين[٢] (المسيحيين منهم بالتأكيد). ويفهم من

---

(1) Moberg, p. XLIX.

(2) Grillmeier, p. 306.

"كتاب الحميريين" أنه عشية المذبحة التي قام بها اليهود ضد المسيحيين في المنطقة سنة ٥٢٣م كان ثمة عدد من الكنائس منتشرة في كل من ظفار ونجران وحضرموت ومأرب[1]، ما يدل على أن المسيحية كانت قد تجذرت هناك.

ذو نواس

هناك إجماع في المصادر العربية والأخرى السريانية القديمة على أن منفذ مجازر سنة ٥٢٣م في جنوب الجزيرة العربية كان ملكا حميريا يهوديا. غير أن هذه المصادر تختلف فيما بينها في تسمية هذا الملك. ففي معظم الروايات العربية، خاصة منها المنقولة عن وهب ابن منبه برواية ابن إسحق، يرد اسمه زرعة بن تبان أسعد، ويُلحق عادة بـ"ذو نواس"[2]. وينفرد صاحب القاموس المحيط بتسميته زرعة ابن حسان. كذلك ينفرد المسعودي بتسميته "يوسف ذو نواس بن زرعة بن تبع الأصغر ابن حسان"[3]. ويكتب ابن سعيد الأندلسي الاسم

---

(1) Moberg, p. LII.

(٢) الطبري، م. ١، ص. ٣٧٦؛ ابن هشام، م. ١، ص. ٦٧؛ أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي** (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٠)، م. ١، ص. ١٩٩؛ عز الدين ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** (بيروت: دار صادر، ١٩٧٩)، م. ١، ص. ٤٢٥.

(٣) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، الطبعة الخامسة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (دار الفكر، ١٩٧٣)، ج. ٢، ص. ٧٦.

بصيغة ذو نواس أسعد بن تبان[1]. كما يرد الاسم عند نشوان الحميري بصيغة "ذو النواس الأصغر" وهو زرعة بن عمرو بن زرعة الأكبر ابن عمرو بن تبع الأصغر[2]. وتطرح هذه التسميات المختلفة بعض الإشكالات. منها أنه لا يمكن أن يكون هذا الشخص الذي هو مدار بحثنا هنا ابنا لتبان أسعد، إذ بين الرجلين زمن يمتد نحوا من قرن ونصف القرن. فتبان أسعد الذي أشرنا إليه أعلاه، باعتبار أنه كان قد اعتنق اليهودية، كان حيا سنة ٣٨٠م، بينما حدثت المجزرة التي نحن بصددها سنة ٥٢٣م. كذلك تبين المصادر العربية أن تبان أسعد ذلك قد حكم بعده عدد من الملوك، قبل أن يأتي رجلنا إلى الحكم، وقد بلغوا سبعة وتقدر سنوات حكمهم بما يقارب القرنين[3].

كذلك لا يعتد بما أورده ابن سعيد الاندلسي عن أن رجلنا هو ابن حسان، إذ حسان هذا هو أخو تبان أسعد وليس هناك في مصادرنا العربية ما يؤيد خبر ابن سعيد. أما رواية المسعودي فبالتأكيد جرى فيها خلط عندما وصلت إلينا، أو ربما كانت هي ما أخطأ بها هو نفسه عندما جعل رجلنا ابنا لزرعة وهو ما لا نجد تأييدا له في جميع مصادرنا الأخرى.

---

(١) ابن سعيد الأندلسي، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، تحقيق نصرت عبد الرحمن (عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٢)، ج. ١، ص. ١٥٦.

(٢) نشوان الحميري، **خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة** (نسخة الوراق الألكترونية)، ص. ٥٢.

(٣) انظر أسماءهم لدى: اليعقوبي، م. ١. ص ص. ١٩٨-١٩٩؛ ابن الأثير، م. ١، ص ص. ٤١٨-٤٢٤.

إن ما يمكن تأكيده بنوع من الاطمئنان هو أن زرعة هو الاسم الحقيقي لهذا الرجل إذ هو يتكرر في معظم المصادر العربية، وهو اسم كان شائعا في عدد من اللغات السامية القديمة[1]. وإذا كان الأمر كذلك، فما شأن "ذو نواس" إذن الذي يرد أيضا اسما للرجل؟

ترى مصادرنا العربية أن ذاك كان لقبا لزرعة، وهي تفسره، كما يرد في لسان العرب، بأن "النوس هو تذبذب الشيء... وقيل لبعض ملوك حمير ذو نواس لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقيه". غير أننا نميل إلى التقليل من سلامة هذا التفسير، إذ ليس في اللغة ما يفيد بأن كلمة "نواس" يمكن أن تطلق على ضفيرة شعر حتى ولو كانت "تنوس"، ويحدد صاحب لسان العرب معنيين فقط لهذه الكلمة أحدهما "ما تعلق من السقف" والآخر "نسيج العنكبوت".

كذلك فإن فهم كلمة "ذو" بمعنى "صاحب" قد زاد في الإمعان في خطأ التفسير. إذ إن معنى هذه الكلمة ينبغي أن يدرك من خلال الزمن الذي كانت تستخدم فيه، وهي في هذا السياق التاريخي كانت تعني حسب معاجم اللغة ملكا أو رتبة قريبة من الملك. فـ "الذوون" أو "الأذواء" ــ وهما صيغة الجمع لـ "ذو" ــ مصطلح أطلق في التاريخ الحميري على منصب رفيع يشمل "الأملاك" أو "ملوك اليمن"، وفق لسان العرب. فكلمة "ذو" في "ذو نواس" لا تعني هنا "صاحب" بل ملك أو من هو في منزلته أو ما هو قريب منه في المكانة.

---

(1) Irfan Shahid, *Martyrs*..., p. 262.

وما يدعم هذا الرأي أسماء ملوك حميريين في اليمن تبدأ بـ "ذو" وتختتم باسم مكان. من هؤلاء "ذو جدن" حيث "جدن" "مفازة أو واد في اليمن"[1]، و"ذو رعين" حيث "رعين" جبل في اليمن فيه حصن وسمي به "ذو رعين"[2]. وأيضا "ذو فائش" حيث "فائش" واد في أرض اليمن[3]. وفي جميع هذه الحالات فهؤلاء الأذواء أو الملوك إنما هم ينتسبون إلى المناطق المذكورة.

والحال نفسها ينبغي أن تنطبق على "ذو نواس". فهو "ملك" منسوب إلى "نواس" التي لم نجد، في الحقيقة، ما يدل على موقعها الجغرافي في مصادرنا القديمة. غير أن ياقوت أورد لفظ "النُواش" وقال إنه "حصن من حصون اليمن"[4]. ونرانا نميل إلى أن هذا الحصن هو ما كان ينتسب إليه رجلنا، كحاكم له أو ملك، وقد جرى على لفظه تصحيف بإحلال "الشين" مكان "السين"، وهما متشابهتان.

إن ما يمكن استخلاصه من هذا العرض أن اسم هذا الرجل هو زرعة وكان يلقب بـ"ذو نواس". وقد عرف في زمنه بهذا اللقب، ويتأكد ذلك من مطابقة هذا اللقب لاسمه الذي يرد في النسخة اليونانية من كتاب *Martyrium Arethae* حيث نقرأه "دوناس" أو كما كتب

---

(١) ياقوت الحموي، **معجم البلدان** (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧)، م. ٢، ص. ١١٤.

(٢) نفسه، م. ٤، ص. ٥٢.

(٣) نفسه، م. ٤، ص. ٢٣٤.

(٤) نفسه، م. ٥، ص. ٣٠٦.

بالإنجليزية برسم Dounaas[1] وهي بالتأكيد لفظة محرفة من "ذو نواس".

غير أن مصادرنا العربية تعطي الرجل اسما إضافيا هو "يوسف"، وتقول إنه تسمى به بعد أن تهود[2]. وتؤكد النقوش التي وجدت في اليمن وجود ملك حميري ينتمي إلى ذلك الزمن الذي عاش فيه "ذو نواس" يحمل اسم يوسف[3]، وهذا يدلل على صحة الروايات التاريخية العربية عن هذا الاسم الذي حمله "ذو نواس"، وقد اختاره من التراث اليهودي (آنئذ) الذي تبرز فيه شخصية النبي يوسف بن يعقوب، فهو اسم توراتي إذن.

غير أن المصادر السريانية المسيحية لم تعترف لـ"ذو نواس" بهذا الاسم (يوسف) إذ أحيط هذا الاسم في التراث المسيحي بهالة من التبجيل، بل القداسة، لأنه هو الذي كان يحمله يوسف النجار خطيب السيدة مريم والذي ترعرع السيد المسيح بكنفه، فتجنبت تلك المصادر إطلاقه على من ارتكب تلك المجزرة المروعة بحق المسيحيين. وبدلا من ذلك نجدها تطلق عليه لفظة "مسروق" (وترد في المصادر السريانية بهذا اللفظ العربي)[4] للتقليل من قيمته وإظهار ازدرائه. وليس في مصادرنا في الحقيقة ما يمكن الاطمئنان إليه بشأن السبب

---

(1) Irfan Shahid, *Martyrs,* p. 204.

(٢) الطبري، م. ١، ص. ٣٧٧؛ وانظر المسعودي، ج. ٢، ص. ٧٧؛ ابن الأثير، م. ١، ص. ٤٢٩.

(3) Irfan Shahid, *Martyrs*, pp. 260-261.

(4) *The Book of the Himyarite.*

الذي دعا إلى وصمه بهذه الصفة أو اللقب. غير أنه يمكن التفكير في أن هذه الصفة (مسروق) استعيرت من التراث التوراتي الذي نسب ليوسف بن يعقوب القول بأنه "سُرِقَ" من "أرض العبرانيين"[١]، وبذلك أراحت الكتابات المسيحية ضميرها بأن أنكرت على "ذو نواس" اسم يوسف (النجار خطيب السيدة مريم) ونسبته إلى "يوسف المسروق"، فحذفت يوسف واكتفت بالمسروق.

وقد نجد تفسيرا آخر هو أن كلمة "مسروق" مشتقة من جذر "سِريقو" seriqo السرياني الذي يعني عديم القيمة[٢]. ومهما يكن التفسير فإن ما هو مؤكد أن هذه الصفة أطلقت على "ذو نواس" بهدف التحقير، ويتضح ذلك بجلاء من أن الكلمة في الأصول السريانية كانت تكتب دائما مقلوبة.

وبعد هذا العرض لاسم الرجل نتساءل عن تاريخه قبل أن يظهر على سطح الأحداث منفذا لمجزرة المسيحيين. تخبرنا الروايات العربية المنقولة عن محمد بن إسحاق ومسنودة بأغلبها إلى وهب بن منبه أن اضطرابا حدث في اليمن بين زعمائها، وقد آل إلى أن يغتصب عرش حمير رجل من حمير ليس من "بيوت المملكة" يسمى لخنيعة ينوف ذو شناتر، الذي استبد بالناس وفحش بأن كان يعمل

---

(١) الخروج، ٤٠: ١٥.

(2) Vassilios Chistides, "The Himyarite-Ethiopian War and the Ethiopian Occupation of South Arabia in the Acts of Gregentius, ca. 530 A.D", *Annales d'Ethiopie*, Year 1972, Volume 9, Issue 9, p. 129.

"عمل قوم لوط" بأبناء الملوك الذين سبقوه بهدف إذلالهم. وعندما وصل الأمر إلى زرعة وهو من "أبناء الملوك" هؤلاء تمكن هذا من قتله، فأجمعت عليه حمير ونصبته ملكا عليها[1]. ولا تعلمنا مصادرنا العربية متى كان ذاك، لكنها تشير إلى أن حكم لخنيعة امتد على مدى بضع وعشرين سنة.

غير أن "ذو نواس" نفسه يخبرنا شيئا مختلفا عن توليه الحكم، وذلك في رسالة بعث بها (بعد مجزرة المسيحيين ٥٢٣م) إلى المنذر الثالث ملك اللخميين في الحيرة يشرح فيها ما عمله في تلك المجزرة (سوف نتناول هذه الرسالة بتفصيل أكثر فيما بعد). فهو يقول فيها إن الملك الذي كان الأثيوبيون قد أقاموه في بلاده قد توفي (ولم يقل إنه قتله) ولأن الأثيوبيين لم يزحفوا إلى البلاد بسبب قدوم فصل الشتاء ليعينوا ملكا مسيحيا آخر مكانه "فقد أصبحتُ ملكا على جميع بلاد الحميريين"[2].

وذكر الأثيوبيين (الأحباش) هنا هو إشارة إلى غزوهم اليمن، في تاريخ لم يتمكن المؤرخون من تحديده بدقة لكنه يقع بين سنتي ٥١٨ و٥٢٠م، نصرة للمسيحيين هناك الذين كانوا قد تعرضوا لموجة من الاضطهاد آنذاك[3]، ويبدو أنهم عينوا ملكا مسيحيا في اليمن

---

(١) الطبري، م. ١، ص. ٣٧٦؛ سيرة ابن هشام، ج. ١، ص. ٦٦؛ كذلك اليعقوبي، م. ١، ص. ١٩٩، وإن كان هذا لم يسند خبره إلى مصدر.

(2) The letter as in: Zacharia of Mitylene, *op. cit.*, p. 193.

(3) See: K.A. Kitchen, *op. cit.*, p. 4.

تابعا لهم (يرى بعض المؤرخين ان اسمه كان معدي كرب يعفور[1]) وهو من أشار إليه ذو نواس برسالته. وإذا كان الأمر كذلك فقد كان "ذو نواس" قد بدأ حكمه خلال السنتين اللتين سبقتا مجزرة سنة ٥٢٣م.

وهكذا يبدو لنا أنه من العبث أن نسعى إلى التوفيق ما بين ما جاء في المصادر العربية حول هذا الشأن وذاك الذي ورد في الرواية السريانية (الرسالة المشار إليها أعلاه) إذ المعلومات هنا متضاربة. غير أننا نرجح أن تكون الرواية السريانية أقرب إلى الحقيقة، فالمصدر الذي عدنا إليه أعلاه تعود كتابته إلى الزمن نفسه الذي جرت فيه هذه الأحداث، وقد استقى صاحبه أخباره عنها من شهود نقلوا إليه بالتفصيل ما كان يحدث آنذاك. ويعزز هذا الترجيح بصورة قد تبدو قاطعة الإشارة التي جاءت في "كتاب الحميريين" (الذي يعد وثيقة على درجة عالية من المصداقية التاريخية) إلى اسم الملك الذي سبق "ذو نواس" في الحكم وهو معديكرب. ويستدل من الكتاب نفسه أن معديكرب كان مسيحيا، فقد كان قد اقترض مالا من رحيمة بنت أزمع إحدى النساء المسيحيات النجرانيات اللواتي لاقين حتفهن في المجزرة بأمر من "ذو نواس". وكانت رحيمة نفسها قد تخلت عن دَينها لمعديكرب هذا[2].

وتجمع المصادر جميعها على أن "ذو نواس" كان يهوديا، وتنفرد المصادر العربية بذكر أنه "تهود" بمعنى أنه اعتنق اليهودية

---

(1) Irfan Shahid, *Martyrs*…, p. 267.

(2) *The Book of the Himyarites*, p. CXXXIII.

متخليا عن دين له سابق، واتخذ اسم يوسف بعد أن كان زرعة. ويرى عرفان شهيد، في تحليل له، أن "ذو نواس" كان مسيحيا ثم تهود، أو كان يهوديا ثم مسيحيا ثم عاد إلى اليهودية، مستندا في ذلك إلى نبزه بـ "يهودا" في "كتاب الحميريين" في إشارة إلى ما ورد في "العهد الجديد" عن يهودا الذي كان يهوديا، ثم اتبع السيد المسيح وانتهى بخيانته المعروفة له، و"ذو نواس" سار سيرة يهودا ذاك فاستحق هذا النبز[1]. غير أن هذا التحليل يظل في نطاق الظن أكثر من أن يكون حقيقة تاريخية، خاصة وأن المصادر المعاصرة لتلك التطورات مجال البحث هنا تخلو تماما من أي إشارة قد تدل على أنه انتقل من دين له سابق إلى اليهودية، بل تصفه دائما بـ"اليهودي" إقرارا بما كان عليه الأمر الواقع آنذاك. وينفرد كتاب "الحوليات النسطورية" (الذي أشرنا إليه قبل) بمعلومة تقول إن أم "ذو نواس" كانت يهودية من نصيبين، وقد وقعت مرة في الأسر وبيعت كأمة اشتراها أحد ملوك الحميريين وولدت له مسروقا (أو "ذو نواس") وهي التي هودته[2].

ومهما يكن الأمر فقد كان لـ"ذو نواس" صلات وثيقة مع اليهود خارج جنوب الجزيرة العربية. ونستدل على ذلك من أمرين: أولهما من رسالة الأسقف سمعان الأرشمي التي كتبها من الجابية مستندا فيها إلى معلومات كان قد تلقاها من نجران، والتي تذكر بوضوح أن حاشية "ذو نواس" عند حصاره نجران كانت تضم كهنة

---

(1) Irfan Shahid, *The Martyrs…*, pp. 267-268.

(2) Moberg, p. L.

من يهود طبريه[١]. أما الثاني فهو إشارة مهمة وردت لدى حمزة الأصفهاني في تاريخه تذكر أن "ذو نواس" كان قد زار يثرب، وأن اليهود فيها حملوه على غزو نجران "لامتحان من بها من النصارى"[٢].

والخلاصة التي يمكن التوصل إليها من هذا العرض هي أن جنوب الجزيرة العربية قد وقع تحت السيطرة الحبشية في بعض مراحل الحروب المتعددة التي دارت بين الحميريين والأحباش، وقد عين الأحباش على المنطقة "ملكا" مسيحيا من سكانها (معديكرب)، توفي دون أن يترك ــ كما يبدو ــ وريثا له في العرش. وقد استغل زرعة (أو "ذو نواس" أو يوسف) فرصة الفراغ الذي حدث في قمة السلطة، دون أن تتمكن الحبشة من إشغاله، فاستولى على العرش. ويبدو من اللقب الذي كان يحمله ("ذو نواس") أنه كان قبل أحد "الأذواء"، أو "الملوك"، في إحدى مناطق اليمن (بيّنا قبلُ أنها قد تكون النواش أو النواس) ما جعله مؤهلا ليحتل كرسي العرش في عاصمة الحميريين ــ ظفار آنذاك. وقد استند "ذو نواس" من أجل الوصول إلى العرش إلى قوة محلية يهودية كان ينتمي إليها، كما نال دعما (معنويا ودينيا) من يهود خارج المنطقة ــ من يهود طبريه

---

(1) The letter in: Irfan Shahid, *The Martyrs*..., p. 45.

(٢) حمزة بن الحسن الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام** (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت، باعتماد طبعة مطبعة كاوياني في برلين المأخوذة عن الأصل الذي حققه جوتوالد سنة ١٨٤٤)، ص. ١١٣.

(بفلسطين) ويهود يثرب الذين كان لهم مصلحة بالتأكيد في تثبيت أركان مملكة يهودية في تلك المنطقة.

مجازر تمهيدية

بدأت سلسلة الحوادث التي أدت في النهاية إلى مجزرة سنة ٥٢٣م، في تاريخ لا تحدده مصادرنا بدقة ولكنه يقع بين سنتي ٥١٨ و٥٢٠م. وربما سنة ٥١٩م[1]، عندما تعرض المسيحيون في جنوب الجزيرة العربية لحملة اضطهاد على أيدي اليهود. وتفاصيل هذه الحملة غامضة إذ يشار إليها باقتضاب في المصادر القديمة. لكن عرف من ضحاياها الأسقف بولس، أسقف نجران، الذي رجمه يهود كانوا قد قدموا من طبرية حتى الموت[2].

وهناك معلومات تشير إلى أن "ذو نواس" كان له دور في هذه الحملة[3]. غير أننا لا نعرف ما هي الصفة التي كان يحملها آنذاك

---

(1) Moberg, p. XLIX.

(٢) رسالة سمعان الأرشمي التي كتبها من الجابية، في:

Irfan Shahid, *Martyrs*..., p. 46.

وسوف نشير إليها فيما بعد **برسالة سمعان من الجابية.**

(3) Irfan Shahid, "Byzantino-Arabica: The Conference of Ramla, A.D. 524", *Journal of Near Eastern Studies*, Vol. 23, No. 2 (April, 1964), p. 123. (hereinafter: Shahid, *Conference of Ramla*).

سوى أنه كان من "الأذواء" كما يدل على ذلك لقبه (وقد بينا ذلك من قبل)، فربما كان زعيما أو حاكما في منطقة من مناطق اليمن.

وقد دفعت حملة الاضطهاد نجاشي الحبشة، وهو مسيحي، إلى الثأر ممن نفذها فقاد جيشا إلى جنوب الجزيرة العربية وهزم الحميريين وفرض سيطرته على المنطقة. وقبل أن يعود إلى بلاده بنى كنيسة في ظفار التي كانت مركز الحكم في اليمن وأبقى فيها حامية عسكرية حبشية[١]. كما عين ملكا من سكانها المسيحيين هو معديكرب يعفور الذي أشرنا إليه قبل.

وتشير بعض المعلومات إلى أن "ذو نواس" كاد أن يلقى حتفه على أيدي الأحباش لولا أن توسط له تاجر من الحيرة (عاصمة اللخميين) الذي شهد له بأنه مسيحي وليس يهوديا[٢]. وهناك رواية أخرى تشير إلى أن من توسط له لينجيه من القتل آنذاك كان المنذر الثالث، الذي يوصف في هذه الرواية بأنه "اللص التاجر" الذي كان في اليمن عند قدوم الأحباش إليها[٣]. وتختفي أخبار "ذو نواس" من مصادرنا بعد ذلك باستثناء ما ذكر عنه أنه التجأ إلى أحد جبال اليمن، وربما كان هو منطقة النواش أو النواس التي أشرنا إليها من قبل.

لم يستمر معديكرب، الملك المسيحي الذي عينه الأثيوبيون، في الحكم إلا فترة قصيرة، إذ من المرجح أنه توفي ما بين أواخر

---

(1) Christides, p. 117.

(2) Irfan Shahid, *Conference of Ramla*, p. 123.

(٣) "رسالة سمعان الأرشمي من الجابية"، ص. ٥٦.

سنة ٥٢٢م وبدايات ٥٢٣م كما يستدل على ذلك من رسالة كان قد بعثها قبل وفاته إلى المسيحيين في الحيرة ووصلت إليهم في سنة ٥٢٣م[١]. وما هو واضح من رسالة "ذو نواس" إلى المنذر (التي أشرنا إليها من قبل) أن الأثيوبيين لم يتمكنوا من تعيين آخر مكانه، ليظهر "ذو نواس" بذلك على المسرح من جديد معلنا نفسه ملكا.

ولا نعرف من مصادرنا كيف حدث ذلك. ما نعرفه فقط أن "ذو نواس" ظهر أول مرة بهذه الصفة في موقع جغرافي اسمه غامض في المصادر القديمة ورسم بالترجمات الإنجليزية بالأحرف DYĀRYN دون أن يتمكن مترجم النص من تحديد مكانه[٢]. ويفهم من هذا المصدر أن هذا الموقع كان قريبا من ظفار، وهذه كانت عاصمة الحميريين، التي كانت تقع قرب صنعاء[٣] (إلى الجنوب منها في منطقة إبّ في الجمهورية اليمنية الآن). ونميل إلى الظن بأن "ديارين" هذه هي "ذران"، مصحفة، وهي موقع أثري قريب من ظفار. ومهما كان الأمر فقد بدأ "ذو نواس" بحشد قواته في هذا الموقع ومنه سار لمهاجمة ظفار[٤]، التي فشل في اقتحامها بالقوة فلجأ

---

(١) أشير إلى هذه الرسالة في: **رسالة سمعان الأرشمي من الحيرة**، ص. ١٩٨.

(٢) **رسالة سمعان الأرشمي من الجابية**، ص. ٤٤.

(٣) كما عينها ياقوت، م. ٤، ص. ٦٠.

(٤) ما هو في المتن أعلاه عن موقعة ظفار إنما هو من تقريرين متماثلين في المحتوى في المصدرين التاليين: **رسالة سمعان الأرشمي من الجابية**، ص ص. ٤٤-٤٥؛ و *The Book of the Himyarites*, pp. CV

إلى الحيلة بأن أرسل وفدا ضم يهودا من طبرية إلى الحامية الحبشية فيها حمّله رسالة إلى الأحباش تعهد فيها بألا يمسهم بسوء إذا استسلموا له، وبأنه سوف يرحلهم أحياء إلى ملكهم في الحبشة.

وعلى أساس هذا التعهد خرج ثلاث مئة من الأحباش من ظفار وفي مقدمهم رئيس قساوستهم وسلموا أنفسهم إلى "ذو نواس" الذي قام بتوزيعهم على بعض رجاله وأمرهم بقتلهم كافة. وهذا ما حدث إذ قتل المستسلمون جميعا. وفي اليوم التالي أرسل بعض رجاله إلى المدينة حيث قاموا بقتل من وجدوه من الأحباش فيها، وكان عددهم مئتين، وأشعلوا النار في كنيسة المدينة.

وقد أردف "ذو نواس" تلك المجزرة التي ذهب ضحيتها خمس مئة من رجال الدين والعامة بأن بعث برسله إلى أنحاء مملكته، يرافقهم كهنة يهود، يأمر بقتل كل مسيحي فيها ما لم يتنكر للمسيح ويصبح يهوديا، كما أمر بحرق كل شخص يؤوي مسيحيا وحرق منزله ومصادرة ممتلكاته وتحويلها إلى الملك.

بعد تمكنه من ظفار اتجه "ذو نواس" إلى حضرموت. وفي الجغرافيا المعاصرة يطلق هذا الاسم على منطقة وليس مدينة، وكان ياقوت قد وصفها بأنها "ناحية"[١]. غير أن ابن حوقل يبين أنها "مدينة صغيرة" تقع إلى الشرق من عدن[٢]. كما جاءت في "رسالة سمعان

---

(١) انظر في ذلك: ياقوت، م. ٢، ص ص. ٢٦٩-٢٧١.

(٢) أبو القاسم بن حوقل، **كتاب صورة الأرض** (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩)، ص. ٤٤.

الأرشمي من الجابية" على أنها مدينة[1]. ولا توضح لنا هذه الرسالة حجم الخسائر البشرية التي تعرض لها المسيحيون في حملة "ذو نواس" على حضرموت، لكنها تقتصر على ذكر أسماء أربعة من القساوسة، وأم أحدهم وأخيها.

المحرقة في نجران

توجه "ذو نواس" من حضرموت إلى نجران التي شهدت المجزرة الكبرى، فأعطت بذلك اسمها عنوانا لكل تلك الفظائع التي حدثت. ونجران، في الجغرافيا العربية القديمة، كانت تقع في إقليم اليمن (وهي الآن مدينة في جنوب المملكة العربية السعودية). وقد اتصفت في تاريخها القديم بأنها كانت معقل المسيحية في جنوب الجزيرة العربية وبأن المسيحية كانت هي الغالبة على سكانها.

وتحتفظ المصادر السريانية باسم الحارث بن كعب باعتباره الزعيم الأبرز للمسيحيين فيها في الزمن الذي دارت فيه المجازر، وهو الذي صحف اسمه في الكتابات اليونانية القديمة برسم Arethas. غير أن المصادر العربية لا تعرف هذا الاسم (الحارث بن كعب) وترى أن رأس المسيحيين كان عبد الله بن الثامر[2].

---

(١) **رسالة سمعان الأرشمي من الجابية، ص. ٤٥.**

(٢) الطبري، م. ١، ص. ٣٧٧؛ اليعقوبي، م. ١، ص. ١٩٩.

غير أنا نرى، خلافا لذلك، أن عبد الله هذا كانت له مكانته الدينية السامية في نجران قبل وقوع هذه التطورات مجال البحث هنا. فالأخبار عنه في مصادرنا العربية، وإن كانت مضطربة، تشير إلى أنه هو أول من أدخل المسيحية إلى نجران، وأنه ـ في بعض الروايات ـ قتل قبل أن يتمكن "ذو نواس" من عرش حمير[1].
والشخص البارز الذي احتفظت المصادر غير العربية باسمه قتيلا في فترة الاضطهادات الأولى للمسيحيين في المنطقة (وهي التي سبقت تولي "ذو نواس" الملك) كان الأسقف بولس، أسقف نجران، الذي قتله اليهود (وقد أشرنا إلى ذلك قبل). وهكذا فربما كان عبد الله بن الثامر هو نفسه الأسقف بولس، وقد تسمى بهذا الاسم الأخير وفقا لتقاليد كنسية قديمة (وهي ما تزال شائعة حتى الآن) بأن يحمل الشخص اسما مشتقا من التراث المسيحي عند توليه منصبا مهما في الترتيب الكنسي.

وتكرار اسم الحارث بن كعب في المصادر المعاصرة لهذه التطورات يقوي اليقين بأنه هو من كان يتولى قيادة المسيحيين في نجران آنذاك.

---

(١) الطبري، م. ١، ص. ٣٧٩.

بدأت أعمال "ذو نواس" في نجران[1] بأن أرسل بعض قواته لمهاجمتها إلا أنها فشلت مرتين في اقتحامها نتيجة المقاومة التي أظهرها النجرانيون. وكانت الخطوة الثانية أن قاد هو نفسه جيشا مكونا من مئة وعشرين ألف مقاتل[2] وفرض حصارا على المدينة لعدة أيام، إلا أنه فشل مرة أخرى في اقتحامها بالقوة. وهنا لجأ إلى إعمال الحيلة كما فعل في ظفار، بأن أرسل كهنة من يهود طبرية للتفاوض مع أهل نجران يحملون التوراة وكتابا منه يقسم به "بألواح موسى، وبتابوت العهد، وبإله إبراهيم وإسحاق وإسرائيل" بأنه لن يمس النجرانيين بأذى إن سلموا إليه المدينة طوعا وخرجوا إليه مسالمين.

ويبدو من مصدرنا أن زعيم النجرانيين، الحارث بن كعب، وقد كان عمره آنذاك خمسا وسبعين سنة، رفض الاستسلام وتسليم المدينة، وحاول أن يقنع مواطنيه بالمقاومة. فقد احتفظ هذا المصدر بكلمة له أمام "ذو نواس" عندما ألقي القبض عليه، الذي خيره بين القتل أو الارتداد عن المسيحية واعتناق اليهودية، بين فيها موقفه

---

(١) سوف نعتمد هنا في الحديث عن المجزرة التي حدثت في نجران على المصدر الأساسي التالي: **رسالة سمعان الأرشمي من الجابية**، ص ص. ٥٥ وما بعدها إذ هي أوفى المصادر الأساسية في تفصيلاتها عن هذه الحادثة، مع الرجوع أحيانا للمقارنة إلى المصدر الأساسي الأخر *The Book of the Himyarites*.

(٢) قد يبدو هذا الرقم مبالغا فيه كما هو السائد في المصادر القديمة عند الحديث عن عدد الجيوش، لكننا نأخذه للدلالة فقط على حجم هذا الجيش الكبير.

الحاسم في رفض الاستسلام ومحاولاته تعزيز صمود مواطنيه من أهل نجران في وجه العدوان اليهودي[1].

إلا أن الحارث بن كعب فشل في إقناع النجرانيين بالمقاومة وعدم الاستسلام. ولا ندري في الحقيقة ما هو السبب الذي حال دون هؤلاء والمقاومة، أكان ذلك بسبب شعورهم بعدم جدوى ذلك وقد قارنوا قوتهم بقوة عدوهم المتفوقة، خاصة وأن نجران كنت خالية من وجود قوة عسكرية حبشية، أم كان ذلك أملا في أن يصدق "ذو نواس" بوعوده تجاههم التي قطعها على نفسه، ولم تكن بعد أخبار مجازره في ظفار وحضرموت قد وصلت إليهم[2]؟

ومهما كان الأمر فقد خرج من نجران نحو من ثلاث مئة مسيحي ومعهم بعض قادتهم واستسلموا لـ"ذو نواس" الذي استقبلهم بترحاب وبتكرار وعوده بألا يمسهم بضرر وألا يضطهدهم بسبب مسيحيتهم. ثم أمر في اليوم التالي بأن يخرج إليه ألف آخرون، وهذا ما فعلوه مع التأكيد من جديد على وعوده السابقة. وعندما اكتمل العدد أمر رجاله بتجريد الجميع (من الدفعتين) من أسلحتهم وبتربيطهم بالحبال، كما أصدر أمرا لليهود معه باقتحام المدينة وإلقاء القبض على جميع المسيحيين فيها.

وعند هذا المفصل بدأت المجزرة الفظيعة. وكانت الفعلة الأولى أن نبش اليهود قبور الشهداء المسيحيين الذي سقطوا في حملة

---

(١) انظر نص الكلمة في الملحق بنهاية هذا الفصل.

(2) *The Book of the Himyarites*, p. CVI.

الاضطهاد الأولى (أشرنا إليها قبل) واستخرجوا عظامهم، ومنها عظام الأسقف بولس (المار ذكره) وكوموها في كنيسة نجران، وأردفوا ذلك بإحضار الأسقف الذي خلف الأسقف الشهيد وقد تسمى باسمه كذلك (الأسقف بولس) وألقوا به فوق العظام التي كوموها. ثم أحضروا من ألقوا القبض عليه من المسيحيين، أولئك الذي استسلموا من قبل لـ"ذو نواس" والذين ألقي القبض عليهم عندما دخل اليهود المدينة، وحشروهم في الكنيسة التي ملأوها حطبا، من داخلها وما أحاط بها، وأشعلوا النيران في الجميع. وقد استمرت المحرقة يومين قتل فيها نحو من ألفين من الرجال، كما التهم الحريق عددا من النساء اللواتي، كما يبدو، أسرعن إلى المكان لإنقاذ رجالهن، أو ــ وفقا للمصدر ــ لمشاركتهم هذا المصير المؤلم، أو الشهادة.

أعقب المحرقة، بعد أن هدأت نيرانها، مجزرة كان ضحاياها من النساء والأطفال. فقد اقتحمت المدينة قوة من اليهود على رأسها أحد قواد "ذو نواس" المسمى "ذو يزن" وقامت بتجميع مئة وسبعين امرأة ممن قتل رجالهن في المحرقة في أحد منازل نجران (كما التحق بهن عدد من أطفالهن)، حيث خيرهن القائد بين التنكر للمسيح واعتناق اليهودية أو القتل. وعندما رفضن أمر القائد رجاله برميهن وأطفالهن بالسهام، فقتل من قتل بهذه الوسيلة أما من نجا فقد أجهز عليه بالسيف[١].

(١) تفاصيل هذه المجزرة في: *The Book of the Himyarites*, pp. CXII-CXXI.

وبعد هذه سيق عدد من وجوه نجران، رجالا ونساء، إلى حيث كان "ذو نواس" معسكرا مع جنده قريبا من المدينة. وكان في مقدمة هؤلاء الحارث بن كعب رأس المسيحيين في نجران. وقد احتفظت مصادرنا المعاصرة للحدث[1] بتقارير مفصلة عن اللقاءات التي جرت بين هؤلاء والملك اليهودي، الذي أصر على دعوتهم إلى التنكر للمسيح واعتناق اليهودية، وعندما رفضوا أمر بقتلهم جميعا بمن فيهم الحارث.

وقد أثارت جرأة النساء في هذه اللقاءات مع "ذو نواس" وشجاعتهن في مواجهته غضب الملك وسخطه، فأمر قائده "ذو يزن" بأن يقتحم نجران من جديد وبألا يبقي على أي من نسائها المسيحيات. وتنفيذا لهذا الأمر جمع "ذو يزن" مئة واثنتين وعشرين امرأة كن قد اختبأن في بيوت متفرقة في المدينة، وأحضرهن وأطفالهن إلى حيث كان "ذو نواس" ليقتل الجميع بحد السيف[2]، وكان ذلك هو الفصل الأخير في سلسلة هذه المجازر.

الأخدود

يعد "كتاب الحميريين" الذي كثيرا ما عدنا إليه هنا أهم المصادر وأكثرها تفصيلا للتعرف على أخبار ما جرى في هذه

---

(١) رسالة سمعان الأرشمي من الجابية، ص ص. ٤٩-٦٢؛ رسالة سمعان الأرشمي من الحيرة، ص ص. ١٩٨-٢٠٢؛ *The Book of the Himyrites,* pp. CXXII-CXXXIII.

(2) *The Book of the Himyarites*, p. CXXXIV.

المجازر التي قام بها اليهود ضد المسيحيين في جنوب الجزيرة العربية. غير أن هذا الكتاب غير كامل، فما وجد منه، ونشر، أجزاء منه فقط إذ هناك صفحات عديدة منه مفقودة، كما أن صفحات أخرى قد أصاب التلف أسطرا عديدة منها، وقد أشار مترجم الكتاب من السريانية إلى الإنجليزية ومحرره إلى مواقعها المتعددة.

وهكذا فلا نجد في ما تبقى من هذا المصدر ذكرا للأخدود المشتعل نارا الذي أشير إليه في الآيات الكريمة التي صدرنا بها هذا الفصل من الدراسة. وربما كنا سنجد ما يدل على الأخدود في هذا المصدر لو كان قد وصل إلينا كاملا. غير أننا نجد في هذا الكتاب نفسه ما يشي بوجود هذا الأخدود، الذي يعني لغويا ـ حسب لسان العرب تحت جذر "خ د د" ـــ الشق المستطيل في الأرض. فبعد أن ارتكب اليهود مجزرتهم في نجران أمر "ذو يزن"، وهو من قاد المجزرة، بإلقاء جثث الضحايا ودفنها في خندق (جاءت ترجمته الإنجليزية بكلمة moat) خارج أسوار المدينة[١].

وربما كان هذا الخندق هو المعني بما ورد في كتاب "الحارث" *Martyrium Arethae* (الذي كنا قد أشرنا إليه غير مرة) من وصف لمحرقة ضخمة روكمت فيها مواد الإضرام (وردت بالترجمة الإنجليزية بلفظ pyre) وألقي فيها ٤٢٧ شخصا من رجال الدين المسيحي في نجران لتلتهمهم جميعا[٢].

---

(1) *The Book of the Himyarites*, p. CXXI.

(2) Moberg, p. XXVIII.

وأكثر وضوحا من ذلك ما جاء عن هذا الأمر في كتاب "أعمال جريجنتيوس" *The Acts of Gregentius* الذي كتب حوالي سنة ٥٥٠ م، أي في زمن قريب جدا من تطورات تلك الأحداث[١]. فهذا المصدر يتحدث بوضوح عن أن القتل حرقا بالنار كان هو الإجراء العقابي الأساسي الذي تعرض له شهداء نجران، كما تعزز التقارير التي تضمنها الكتاب الرواية القرآنية عن هذا الحدث[٢].

الحراك السياسي بعد المحرقة

أعقبت المجازر التي قام بها "ذو نواس" في جنوب الجزيرة العربية تحركات سياسية نشطة على امتداد المنطقة من القسطنطينية مرورا بفارس ومملكتي اللخميين (عاصمتها الحيرة) والغساسنة (عاصمتها الجابية) والإسكندرية وانتهاء بالحبشة.

وكان الأسبق في هذا التحرك "ذو نواس" نفسه الذي كان يسعى إلى كسب أنصار له في كل من فارس والحيرة في صراعه

---

(١) جريجنتيوس أرسله بطريرك الإسكندرية إلى نجران ليكون رئيس أساقفة جنوب الجزيرة العربية بعد أن تمكن نجاشي الحبشة من قتل "ذو نواس" وإنهاء حملة الاضطهاد التي تعرض لها المسيحيون هناك. واسم مؤلف هذا الكتاب الذي يتحدث عن أعمال رئيس الأساقفة ذلك هو، على الأغلب، بالاديوس Palladius وهو من الأسكندرية وكان ضمن حاشية رئيس الأساقفة جريجنتيوس وعاش معه في جنوب الجزيرة العربية. وقد كتب كتابه هذا في دير القديسة كاترينة في سيناء.

(٢) Christides, *op. cit*, p. 126.

مع المسيحيين. ولجوء "ذو نـواس" إلـى هـاتين الجهتـين، باعتبارهمـا مرشحتين لنصرته، يمكن فهمه عند وضعه في إطـار خريطـة الـصراع الإقليمـي فـي المنطقـة آنـذاك. فالعـداء المـستحكم بـين فـارس والإمبراطورية البيزنطية التي اتخذت من المـسيحية ديانـة رسـمية لهـا، والذي كان يتجلى في حروب متواصلة بـين الطـرفين، كـان يمثـل فـي عين "ذو نواس" حافز إثـارة لفـارس بـأن تدعمـه فـي صـراعه مـع المسيحيين في جنوب الجزيرة العربية، وهـم الـذين يلتقـون مـع الدولـة البيزنطية في الدين. أما لجهة توجهه نحـو اللخميـين فـي الحيـرة فقـد كان أيضا نابعا من الاعتبار نفسه إذ كان المنذر الثالـث، ملـك اللخميـين آنذاك، تابعا للدولة الفارسية وشـديد التعـصب ضـد المـسيحيين. وكـان المنذر قبل قليل من تلك التطورات التي أدت إلـى المحرقـة (٥٢٣م) قـد قاد جيشا ضد البيزنطيين مخترقا بلاد الشام حتـى وصـل إلـى أنطاكيـة وسجل نصرا عليهم وأسر اثنين من كبار قادتهم العسكريين.

استنادا إلى هذه الخلفيـة بعـث "ذو نـواس" برسـالة إلـى قبـاد (Kavad) الملـك الفارسـي لـم يفـصح صـاحب كتـاب Martyrium Arethae الذي أورد الخبر عن ذلـك عـن تفـصيلات مـضمونه إلا بمـا يتصل بإعلام قباد بالمجزرة التي حصلت في نجران، مـع إشـارة أيـضا يُذكّر فيها الملك الفارسـي بـأن "إلهـه هـو أبـو الـشمس" وهـو إلـه العبرانيين أيضا[1]. وواضح أن هذا "التذكير" كـان القـصد منـه أن يؤكـد "ذو نواس" أن الاثنين يلتقيان في جبهة دينيـة واحـدة ضـد المـسيحيين، حتى وإن خالف الحقيقة بالنـسبة لافتـراق اليهوديـة والزرداشـتية التـي

(1) Irfan Shahid, *The Conference of Ramla*…, p. 122.

كان يدين بها قباد في مسألة الربوبية. وبجانب ذلك يمكن أن نتوقع أن يكون "ذو نواس" في رسالته يحرض الملك الفارسي على المسيحيين الذين في مملكته ويطلب منه دعما ما لما قام به، فليس من المعقول أن تكون مهمة الرسالة فقط هي إبلاغه بما حدث في نجران، أو "تذكيره" بالإله الواحد الذي يدينان به.

غير أن ما هو مؤكد أن قباد لم يتخذ أي إجراء يمكن أن يدل على انسياقه خلف ما كان "ذو نواس" يسعى إليه بمناصبة المسيحيين العداء. ففي تلك الفترة بالذات كان قباد يميل إلى مهادنة البيزنطيين، ويسعى إلى إقامة علاقات ودية مع إمبراطورهم جوستين الأول (Justin)، حتى وصل الأمر به أن يعرض عليه أن يتبنى أحد أبنائه. فقد كان قباد آنذاك قد وصل إلى مرحلة متقدمة من عمره، وكانت تشغله مسألة توريث العرش، وكان مصمما في هذا أن يكون ابنه خسرو (المعروف فيما بعد في مصادرنا العربية باسم كسرى أنوشروان) هو الوريث من بعده، على الرغم من أن هذا لم يكن أكبر أبنائه. ولخشيته عليه من إخوته بعد وفاته توجه لجوستين بأن عرض عليه أن يتبناه وبذلك يضمن حمايته[1]. وكان ذلك كافيا لقباد لكي يحجم عن اتخاذ أي إجراء ضد المسيحيين ليرضي مطامع "ذو نواس".

ومثلما فشل "ذو نواس" في مساعيه مع قباد خاب أمله كذلك في المنذر ملك اللخميين. فقد أرسل إليه أيضا رسالة احتفظت

---

(1) J.B. Bury, *History of the Later Roman Empire* (Macmillan and Co., Ltd., 1923), Vol. II, p. 79.

مصادرنا القديمة بنصها الكامل. وقد قرأ مبعوث "ذو نواس" الرسالة في ما يشبه مؤتمرا عقد في شباط ٥٢٤م في الرملة (هي إلى الجنوب الشرقي من الحيرة) حضره المنذر نفسه مستقبلا مبعوثا للإمبراطور جوستين ليتفاوض معه على إطلاق سراح القائدين البيزنطيين الكبيرين اللذين كان قد أسرهما في حملته العسكرية على البيزنطيين (أشرنا إليها قبل). كما حضر هذا "المؤتمر" شخصيات كنسية مسيحية وقادة من جيش المنذر. وكان من الحضور سمعان الأرشمي الذي سجل في رسالته التي كتبها من الحيرة نص رسالة "ذو نواس"[١].

تسهب رسالة "ذو نواس" في ذكر ما قام به من مجازر ضد المسيحيين خاصة في نجران، وتبلغ المنذر بتفاصيل ما جرى منذ أن أن تسلم عرش حمير إلى آخر فصول المجزرة. ويختتم مخاطبا المنذر: "أتوسل إليك ألا تبقي على مسيحي بين شعبك إلا إذا تنكر [للمسيحية] ووقف إلى جانبك. أما بالنسبة لليهود، وهم إخوتي، الذين يعيشون في المناطق التابعة لك فعاملهم بعطف يا أخي، واكتب إلي عما تريد أن أرسله لك في مقابل ذلك". ويذكر صاحب كتاب

---

(١) انظر عن هذا المؤتمر وأسماء من حضره: Irfan Shahid, *The Conference of Ramla*... . والمصدر العربي الوحيد الذي أشار إلى هذا "المؤتمر": أبو الفرج ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، تحقيق أنطون صالحاني (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٣)، ص. ١٤٨؛ وقد جاءت رواية ابن العبري أن الإمبراطور البيزنطي "وجه وفدا إلى المنذر ملك العرب ليصالحه لأنه كان غزا الروم وخرب وسبا".

Martyrium Arethae أن "ذو نواس" عرض على المنذر أن يدفع له ثلاثة آلاف دينار لإغرائه على اضطهاد المسيحيين في بلاده[1].

كانت ردة فعل المنذر الفورية على هذا التحريض، المصحوب بالرشوة، أن خاطب المسيحيين الموجودين في جيشه (ممن كانوا معه في الرملة) يحثهم على التنكر للمسيح، مهددا بـ"أنني لست أفضل من الملوك الذين اضطهدوا المسيحيين".[2] غير أن هذا الانفعال سرعان ما أخذ في التلاشي عندما واجهه أحد قادة جيشه الكبار من المسيحيين[3] بتهديده بالقتال ضده. وتترك لنا رسالة سمعان الأرشمي، وكان حاضرا هذا اللقاء وصفا مفصلا لما جرى كما يلي: بعد تهديد المنذر باضطهاد المسيحيين، قال له هذا القائد "إننا لم نصبح مسيحيين في زمنك لكي نتنكر للمسيح". وقد أثار هذا القول غضب المنذر الذي رد عليه بالقول: "أو تجرؤ على أن تقول ذلك في حضوري؟"، وكانت إجابة القائد: "لأنني أخشى الله فأتكلم بلا خوف، ولن يستطيع أحد أن يردني عن ذلك، لأن سيفي ليس أقصر من سيوف الآخرين ولن أجفل عن القتال حتى الموت". فما كان من

---

(1) Irfan Shahid, *The Conference of Ramla*..., p. 122.

(٢) **رسالة شمعون الأرشمي من الحيرة**، ص. ١٩٨.

(٣) لا تفصح رسالة سمعان الأرشمي عن اسم هذا القائد، غير أن عرفان شهيد، في بحثه عن مؤتمر الرملة، ص. ١١٩ يستند إلى عدد من المصادر القديمة ليبين أن القائد المشار إليه كان عربيا مسيحيا من الحيرة اسمه زيد بن أيوب، وكان يتولى قيادة معسكرات المنذر.

المنذر إلا أن صمت، إذ كان هذا القائد من القادة العظام ورجلا شجاعا في الحروب[1].

كان التهديد الذي وجهه القائد المسيحي للمنذر لا ينطلق من فراغ. فهو ليس تبجحا شخصيا بقدر ما كان يستند إلى معرفة ما كان المسيحيون يمثلون في مملكة المنذر. فقد كان جيشه يضم أعدادا كبيرة من المقاتلة المسيحيين، كما كان المسيحيون في الحيرة نفسها، وهي عاصمة ملكه، يمثلون نسبة عالية من السكان وهم الذين كانوا يعرفون بالعِباد (ربما اختصارا لعباد الله أو عباد المسيح تمييزا لأنفسهم من المحيط الوثني)[2]. وهذا الوضع كان بالتأكيد يمثل حالة ردع للمنذر تجعله يتحسب لأي خطوة في اتجاه التعامل مع المسيحيين في بلاده كما كان يشتهي "ذو نواس".

غير أن ذلك لم يكن كل شيء. فقد كان المنذر عند تسلمه رسالة "ذو نواس" التحريضية يتفاوض في "مؤتمر" الرملة الذي أشرنا إليه مع مبعوثين للامبراطور البيزنطي جوستين حول إطلاق سراح القائدين البيزنطيين اللذين كانا قد وقعا في أسره. وكانت الفدية المعروضة مبلغا كبيرا من المال أسالت لعاب المنذر نفسه (وهو

---

(١) **رسالة سمعان الأرشمي من الحيرة**، ص. ١٩٨.

(٢) كانت المسيحية قد أخذت بالانتشار في منطقة الحيرة منذ أواخر القرن الرابع الميلادي. والعباد، كما يقول ابن العبري، ص. ٢٥٠، "هم قوم من نصارى العرب من قبائل شتى اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور بنوها بظاهر الحيرة". ويذكر ياقوت، م. ٢، ص. ٣٣١ أن العباد كانوا يمثلون ثلث سكان الحيرة.

قبضها بالفعل مقابل أن أطلق أسيريه) وجعلته يضرب بما عرضه عليه "ذو نواس" من "رشوة" يحثه بها على اضطهاد المسيحيين في بلاده بعرض الحائط.

كان هذا التحرك الذي قام به "ذو نواس" وقد فشل فيه في أن يتخذ له مناصرين من الفرس واللخميين، توازيه حركة نشطة في العالم المسيحي الشرقي لمحاصرة "ذو نواس" ومعاقبته ومن معه من اليهود على ما فعلوه. وتذكر مصادرنا العربية تحركا لشخصية عربية مسيحية من نجران ممن نجوا من المحرقة باتجاه القسطنطينية والحبشة طلبا للنجدة. ففي رواية لابن إسحق أن من تسميه الرواية "دوس ذو ثعلبان"، وهو من نجران، ارتحل إلى القسطنطينية والتقى بـ"قيصر الروم" (الإمبراطور جوستين آنذاك) واستنصره على "ذو نواس" وجنوده. إلا أن القيصر اعتذر ببعد المسافة بين بلاده واليمن، ووجهه برسالة إلى نجاشي الحبشة، التي هي أقرب إلى اليمن، يطلب منه أن ينصر حامل الرسالة (دوس) والثأر ممن "بغى عليه وعلى أهل دينه"[١].

وهناك رواية أخرى، نقلها الطبري، عن أهل اليمن، تقول إن من أخبر النجاشي بما جرى في اليمن كان شخصا اسمه جبار بن فيض[٢]، لكن دون أن تذكر الرواية أنه ذهب قبل ذلك إلى القسطنيطنية.

---

(١) الطبري، م. ١، ص ص. ٣٧٩-٣٨٠.

(٢) نفسه، ص. ٣٧٩.

ولا نجد في الحقيقة تناقضا بين الروايتين، إذ لا بد أن يكون مثل هذا الحدث في اليمن بما اتصف به من فظاعة قد دفع غير واحد من أهلها للإسراع في الاستنجاد بشركائهم في الدين على من ارتكبوا تلك المجازر. ويتأكد ذلك من أن هناك ثالثا من أهل نجران توجه نحو الحبشة، بعد المجزرة، والتقى بالنجاشي فيها. ومصدرنا هنا "كتاب الحميريين" الذي يروي لنا أن رجلا من "أحرار" نجران قد وصل إلى الحبشة والتقى بالنجاشي ونقل إليه رسالة من رجال الكنيسة في بلاد حمير (يبدو أنهم كانوا قد اختفوا فنجوا من القتل) يشرحون له فيها ما قام به "ذو نواس" من جرائم[1].

كان يتزامن مع هذا التحرك العربي المسيحي النشاط الذي قام به الأسقف سمعان الأرشمي انطلاقا من الحيرة (حيث علم لأول مرة بأخبار المجازر وقد نقلها إلى هناك نجرانيون نجوا من المحرقة)، مرورا بالرملة حيث كان الاجتماع أو المؤتمر (الذي أشرنا إليه قبل) وشارك فيه الأسقف، ثم بالجابية عاصمة الغساسنة في بلاد الشام حيث التقى بالأمير جبلة، أمير الغساسنة، كما هو واضح من الرسالة التي بعثها من هناك.

وقد شفع الأسقف سمعان تحركه هذا بالرسائل التي بعث بها إلى زعماء الكنيسة في المشرق، وقد حفظ لنا التاريخ نصين لاثنتين منها كانتا تدوران حول الموضوعات التالية: شرح ما حدث في جنوب الجزيرة العربية والمجازر التي نفذت هناك، والطلب بتعميم

---

(1) *The Book of the Himyarites*, p. CIV.

هذه المعلومات على أوسع نطاق بين "المؤمنين"، والتحريض على "ذو نواس" واليهود الذين قاموا بالمجزرة، وحشد الدعم للمسيحيين في تلك المنطقة. وفي الرسالة التي كتبها من الحيرة طالب الأسقف بأن يلقى القبض على رؤساء الكهنة اليهود في طبرية، ويجبروا على الكتابة إلى "الملك اليهودي" ("ذو نواس") يطلبون منه أن يوقف عمليات الاضطهاد والبلاء التي يقوم بها في بلاد الحميريين[1]. كذلك نعلم من رسالة الأسقف سمعان التي كتبها في الجابية أنه بعث برسالتين إحداهما إلى النجاشي والأخرى إلى أسقف الحبشة[2]، دون أن يفصح عن مضمونهما وإن كانتا بالتأكيد لا تخرجان عن مضامين رسالتيه المعروفتين بنصيهما (أشرنا إليهما).

وبالإضافة إلى ذلك شمل هذا الحراك السياسي الذي وصفناه تحركا من جانب جوستين، الإمبراطور البيزنطي، وبطريرك الأسكندرية اللذين أرسلا رسلا إلى الحبشة يحثان ملكها على الثأر لمن قتلوا من المسيحيين في اليمن، وأن يطمسا أثر الطاغية اليهودي فيها[3].

---

(١) رسالة سمعان الأرشمي من الحيرة، ص. ٢٠٢.

(٢) رسالة سمعان الأرشمي من الجابية، ص. ٦٣.

(3) Bury, *op. cit*, p. 325.

الحملة الحبشية

لا بد أن يكون هذا الحراك السياسي الذي شهدته المنطقة قد خلق حالة من التعبئة النفسية في أوساط عديدة فيها كان موضوعها معاقبة "ذو نواس" ويهوده على ما اقترفوه من جرائم بحق مسيحيي جنوب الجزيرة العربية. وواضح من عرضنا الذي سبق أن البوصلة في هذه الحالة كانت تتجه نحو الحبشة (أو أثيوبيا) من حيث هي الدولة المسيحية الأقرب إلى مسرح الجريمة، وبذلك فهي المرشحة أكثر من غيرها لتكون أداة العقاب.

وكانت المسيحية قد دخلت الحبشة (حين كانت تعرف بأكسيوم) في حوالي سنة ٣٣٠م في عهد ملكها عيزان (حكم من ٣٢٠ إلى ٣٥٠م) وأخذت في الانتشار والتجذر فيها منذ ذاك.

وفي الفترة التي نحد بصددها في هذا البحث كان الملك فيها (الذي يعرف عادة بالنجاشي Negus) هو إيلا أصبحه Ella-Asbaha والذي كان يتخذ اسما آخر له هو كالب Caleb. وهذا الاسم الأخير ورد في الحكاية التوراتية التي زعمت أن النبي موسى بعد أن خرج بقومه من مصر أرسل اثني عشر رجلا ليتجسسوا له أرض كنعان قبل أن يدخلها. وعندما عاد هؤلاء إليه أظهر عشرة من هؤلاء خوفهم من دخول تلك الأرض لأنها منيعة ويسكنها قوم من الجبابرة الأشداء وألحوا على النبي موسى ألا يقتحمها. بينما أبدى اثنان من هؤلاء الذين أرسلوا للتجسس شجاعة وأظهرا استعدادا لاقتحام الأرض مع

النبي موسى. وأحد هذين الرجلين كان كالب[1] (الذي تسمى النجاشي باسمه) والآخر كان يشوع بن نون.

والمصادر المسيحية قلما تشير إلى هذا النجاشي باسمه الحقيقي (إيلا أصبحه)، بل تذكره على الأغلب بهذا الاسم التوراتي (كالب) لما يوحيه هذا الاسم للمؤمنين بالحكاية الوراتية من شجاعة تميز حامله وإيمان واستعداد للاقتحام. ويتردد تعبير "الملك المؤمن" كصفة للنجاشي في صفحات "كتاب الحميريين" كلما يرد له ذكر، كما يورد الكتاب خطبا له يضفي مضمونها صفة شبه مسياحية عليه، ما يدل على طبيعة المهمة التي كان مؤملا منه أن ينهض بها: مهمة المنقذ أو المخلص من هذه المحنة التي تعرض لها مسيحيو جنوب الجزيرة العربية.

وقد بدأت هذه المهمة في شتاء ٥٢٤/٥٢٥م، عندما شرع النجاشي ببناء أسطول مكون من عشر سفن لنقل قواته عبر البحر الأحمر إلى جنوب الجزيرة العربية[2]. وبالإضافة إلى ذلك فقد زودت بيزنطة حليفها النجاشي بستين سفينة جمعت من موانئ مختلفة كانت تحت حكمها[3]. وقد بدأ تحرك هذه الحملة الحبشية المحمولة بحرا في صيف سنة ٥٢٥م، وبالتأكيد بعد شهر أيار من تلك السنة[4].

---

(١) الحكاية في سفر العدد، ١٣: ١-٢٣، ١٤: ٣٦-٣٩.

(2) Kitchen, *op. cite*, p. 3.

(3) Irfan Shahid, *the Conference of Ramla*..., p. 129, quoting *Martyrium Arhethae.*

(4) Kitchen, *op. cit*, p. 3.

وتورد مصادرنا العربية روايتين مختلفتين عمن كان قد قاد الأحباش في حملتهم. فتذكر إحداهما اسم أرياط بينما تذكر أخرى اسم أبرهة[1]. غير أن المصادر القديمة المعاصرة للحدث لا تعرف اسم هذين الشخصين من قادة الحملة الحبشية، بل تورد أنها كانت مقسومة إلى قسمين: أحدهما بقيادة النجاشي نفسه، والآخر كان يقوده شخص باسم Z'WNS كما ورد في الترجمة الإنجليزية لـ"كتاب الحميريين"[2].

ضمت الحملة حسب كتاب Martyrium Arethae مئة وعشرين ألف مقاتل[3]، وهو رقم يبدو مبالغا فيه وإن كان يشير إلى ضخامة الحملة. وقد عبرت السفن من باب المندب وهبطت على ساحل اليمن الغربي (على البحر الأحمر). وفي تلك المنطقة دارت المعركة الكبرى حيث كان "ذو نواس" هناك وقد جمع أنصاره لملاقاة الأحباش. ويبدو من التقارير المبتسرة التي أوردتها المصادر القديمة أن مقاومة أنصار "ذو نواس" قد انهارت سريعا، إذ قتل "ذو نواس" نفسه وهرب أنصاره.

وقد وردت روايات مختلفة عن موت "ذو نواس". فتقص الروايات العربية أنه بعد أن واجه الهزيمة أمام الأحباش قاد فرسه متجها به إلى البحر حيث خاضه فكان ذلك "آخر العهد به"[4]. وليس

---

(١) الطبري، م. ١، ص ص. ٣٧٩-٣٨٠.

(2) *The Book of the Himyarites*, p. CIV.

(3) Irfan Shahid, *the Martyrs of Najran*, p. 185.

(٤) الطبري، م, ١، ص. ٣٨٠.

هناك في هذه الروايات إشارة إلى مقتله بخلاف ما روته المصادر المعاصرة للحدث. فبروكوبيوس القيسراني يؤكد مقتله ولكن بتعبير غامض عن الكيفية التي كان عليها ذلك. فهو يذكر أن النجاشي "جمع أسطولا من السفن وجيشا وحمل عليهم [على الحميريين] وتغلب عليهم في المعركة وقتل الملك ["ذو نواس"] وكثيرا من الحميريين"[١]. فهل كان النجاشي هو نفسه الذي قام بقتله؟ يوضح كتاب "مزار الشهيد الحارث" أن "ذو نواس" أسر في المعركة وأن كالب نفسه هو الذي قتله وهو في الأسر[٢]. وتختلف عن ذلك الرواية التي في "كتاب الحميريين" التي تذكر أنه في أثناء المعركة تعرف أحد الجنود الأحباش على "ذو نواس" فقام بقتله بالسيف، وجر جثته إلى شاطئ البحر حيث حز رأسه ورمى بالجثة في مياه البحر[٣]. وربما من هنا ما جاء في الرواية العربية عن غرق "ذو نواس" في البحر.

كيفما كان الأمر فقد اجتاح الأحباش، بعد مقتل "ذو نواس" اليمن بأجمعه بما في ذلك ظفار عاصمة الحميريين ونجران مركز الثقل القديم للمسيحيين في جنوب الجزيرة العربية. وكان الإجراء التالي بعد أن استقر الأمر عسكريا للنجاشي في اليمن أن يعين "ملكا" هناك يخضع لسلطته. وهناك إجماع في المصادر على أن كالب فعل ذلك، لكن دون اتفاق فيما بينها على اسم هذا الملك. الروايات العربية تبدو مضطربة في ذلك فتشير مرة إلى أن من وقع عليه الاختيار

(1) Procopius, p. 189.

(2) Moberg, p. XXXV.

(3) The Book of Himyarites, p. CXXXV.

ليكون ملكا في اليمن هو أبرهة، أحد اثنين قـادا الحملـة الحبـشية (وفـق هذه الروايات)، بينما تشير مرة أخرى إلى أن أريـاط (ثـاني اثنـين قـادا الحملة) كان هو الذي تولى الملك مدة من الـزمن قبـل أن يتمـرد عليـه أبرهة وينتزع الملك منه[1]. وتشير إحدى هـذه الروايـات إلـى أن أريـاط ملك عشرين سنة قبل أن يقتله أبرهة[2].

وواضح من هذه الروايات العربية أن هـذين الاثنـين كانـا مـن الأحباش، بينما تختلـف روايـة "كتـاب الحميـريين" تمامـا، فتـذكر أن النجاشي اختار أحد الحميريين لهـذه المهمـة. ولا نعـرف فـي الحقيقـة اسم هذا الشخص الذي وقع عليه الاختيار، إذ هناك اهتـراء فـي المكـان الذي ورد فيه الاسم في نسخة الكتاب الأصلية (بالـسريانية) فـضاع هـذا الاسم. ويذكر الكتاب أن هذا الـذي اختـاره النجاشـي للملـك لـم يكـن مسيحيا، لكنه توسم فيه خيرا إذ كانت نواياه طيبة تجـاه المـسيحية، وقـد تنصر على يد النجاشي الذي طلب من رجـال الـدين الـذين كـانوا فـي رفقته أن يعمدوه، وكان النجاشي نفسه "عرابه" في التعميد[3].

في مقابل ذلـك يزودنـا بروكوبيـوس، وهـو المعاصـر لتلـك الحوادث والمطلع تماما على ما كان يجـري فـي المنطقـة، باسـم هـذا الملك فيذكر أنه كـان الـسميفع، ويقطـع بأنـه كـان حميريـا[4]. وتؤكـد

---

(١) الطبري، م. ١، ص. ٣٨١.

(٢) حمزة الأصفهاني، ص. ١١٤.

(3) *The Book of the Himyarites*, p. CXL.

(4) Procopius, p. 189.

النقوش التي وجدت في اليمن صحة ما ذكره بروكوبيوس إذ تسمي هذا الملك بـ"سميفع الأشوع"، وتذكر أنه كان من أقارب الملك المقتول "ذو نواس"[1].

وتدلل بعض القرائن التاريخية على أن السميفع ملك عشر سنوات من حوالي ٥٢٦، سنة مقتل "ذو نواس"، إلى سنة ٥٣٦ عندما انقلب عليه أبرهة[2].

ويتيح لنا بروكوبيوس[3] أن نتعرف على ما حدث آنذاك وأدى إلى هذه النتيجة بأن ذكر أن أعدادا كبيرة من الأحباش ممن كانوا في الحملة الحبشية رفضوا مغادرة اليمن مع النجاشي الذي غادرإلى بلاده بعد أن عين السميفع ملكا عليها. وقد أغرى هؤلاء بالبقاء فيها طموحهم لتملك أراض فيها، وهي أراض طيبة بإجمال. وقد انضم إليهم بعد مدة آخرون، وقام الجميع بتمرد على السميفع (لا يذكر بروكوبيوس أسبابه) وسجنوه في قلعة وأقاموا عليهم أبرهة ملكا. وقد أغضب ذلك النجاشي إيلا أصبحه فأرسل على أبرهة حملة إثر اخرى فشلت جميعا في القضاء عليه. ولم يتمكن أبرهة من إصلاح أموره مع الحبشة إلا بعد وفاة النجاشي، فاصطلح مع خليفته بأن كان يرسل إليه جعلا ماليا كل سنة جعلته يرضى عنه. وقد استمر حكم أبرهة إلى سنة ٥٧٠م، إذ توفي بعد حملته المشهورة على مكة في ذلك العام

(1) Christides, p. 128.

(2) Kitchen, p. 246.

(3) Procopius, p. 191.

الذي عرف بعام الفيل وهو الذي ولد فيه النبـــي محمـــد صـــلى الله عليـــه وسلم.

الفصل الرابع

مجزرة القدس
٦١٤م

الإطار العام

كانت محرقة نجران في العام ٥٢٣م إحدى أكثر الصور بشاعة في منظومة الإبادة الجماعية التي ارتكبها اليهود في حق المسيحيين. غير أن مجزرة القدس، بعد مرور نحو من تسعين سنة على وقوع تلك المحرقة، فاقتها وحشية وولوغا في الدم. فإذا كانت حصيلة محرقة نجران آلافا من القتلى المسيحيين فقد بلغت الحصيلة منهم عشرات الآلاف في مجزرة القدس.

وقعت المجزرة في العام ٦١٤م عندما أُطلِقت يد اليهود في المدينة المقدسة التي دخلوها تحت راية الفرس بعد أن احتلوها ذلك العام، فكانت فرصتهم الذهبية لتطبيق منظومتهم في الإبادة الجماعية والتطهير العرقي كما لم يحدث لهم طوال تاريخهم.

كان ذلك في أثناء الحرب الفارسية ـ البيزنطية التي امتدت من سنة ٦٠٢ إلى سنة ٦٢٨ ميلادية، وهي آخر حلقة من سلسلة الحروب الفارسية ـ البيزنطية/ الرومانية، التي أجهدت الطرفين وتسبّبت بكوارث ومآس عميقة الأثر في المنطقة التي شهدت تطوّرات الحرب والتي امتدت من إيران إلى بلاد ما بين النهرين والأناضول وأرمينيا وسوريا وانتهاء بمصر.

والقارئ العربي يعرف إجمالا صورة عن هذه الحرب المروعة من الآيات الست الأولى من سورة الروم (وهي مكية) في قوله تعالى:

"ألم (١) غُلِبَت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبهم سيَغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥) وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٦)".

وواضح من هذه الآيات الكريمة أن هناك تعاطفا مع البيزنطيين (= الروم) المسيحيين، فهم أهل كتاب في مواجهة الفرس المجوس. وكانت أنباء هذه الحرب قد وصلت إلى المسلمين في مكة (قبل الهجرة النبوية) فجاهروا بتأييدهم الروم، مقابل مشركي قريش الذين أظهروا تعاطفا مع الفرس، إلى الحد الذي جعل أبا بكر الصديق يراهن بعض كبار المشركين على أن النصر سيكون في النهاية حليف الروم[1].

كان الفرس الساسانيون آنذاك تحت حكم ملكهم خسرو الثاني Khosrau II (الذي يرد ذكره في المصادر العربية القديمة باسم كسرى أبرويز)، أما البيزنطيون فكانوا في بداية الحرب تحت حكم

---

(١) انظر الخبر عن ذلك مفصلا لدى: الطبري، م. ١، ص ص. ٤٠٩-٤١٠. ويذكر الطبري نفسه عن رواته (ص. ٤١١) أن خبر انتصار الروم في المرحلة الأخيرة من هذه الحرب قد علم به النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحديبية "ففرح ومن معه".

الإمبراطور فوكاس Phocas (الذي تسميه مـصادرنا العربيـة فوقـا) إلـى أن قتل في انقلاب قاده عليـه أحـد قادتـه، هرقـل (Heraclius)، الـذي أعلن نفسه امبراطورا وبالتالي قاد هذه الحرب حتى نهايتها.

وقد سجل الفرس خلال اثنتين وعشرين سنة مـن بدايـة الحـرب انتصارات سـاحقة علـى البيـزنطيين، اسـتولوا خلالهـا علـى معظـم المناطق التي كانت تحت حكـم الإمبراطوريـة البيزنطيـة: أجـزاء مـن بلاد ما بين النهرين ومساحات شاسعة من آسـيا الـصغرى (الأناضـول) وصولا إلى أبواب القسطنطينية وأرمينيـا وسـوريا وفلـسطين بمـا فيهـا القدس التي احتلوها سنة ٦١٤، ومن هنـاك توجهـوا إلـى مـصر التـي سيطروا عليها.

غير أن البيزنطيين، بقيادة أمبراطـورهم هرقـل، اسـتعادوا منـذ سنة ٦٢٤ زمام المبادرة فـي الحـرب وتمكنـوا، تـدريجيا خـلال سـت سنوات، من استعادة المناطق التي كـانوا قـد خـسروها سـابقا إلـى أن وصلوا إلى عاصمة الفرس (طيسفون أو المدائن التـي يـرد اسـمها فـي المصادر الأجنبية Ctesiphon) التـي حـدث فيهـا انقـلاب (ردا علـى الهزائم الفارسية) على خسرو (وقد قتـل فـي الانقـلاب) وتـولى الحكـم بعده ابنه قباذ كما يسمى في المصادر العربية، كمـا يـرد باسـم شـيرويه (في المـصادر الأجنبيـة يرسـم الاسـم Kavadh ويطلـق عليـه أيـضا Siroes). وقد فرض هرقل معاهـدة استـسلام (سـنة ٦٢٨) علـى قبـاذ استعاد بها البيزنطيون جميع المناطق التـي كانـت تحـت حكمهـم قبـل الحرب، واسترجعوا أسراهم، مع إتاوة مالية يدفعها الفرس لهم.

كان هذا هو الإطار العام الذي شمل مجزرة القدس سنة ٦١٤م ضد مواطنيها المسيحيين، وقد كتب اليهود فيها أفظع فصولها الدامية.

الطريق إلى القدس

مع حلول العام ٦١٣ كانت الهزائم التي لحقت بالبيزنطيين قد أتاحت للفرس السيطرة الفعلية على أرمينيا ومعظم مناطق الأناضول، حتى إنهم وصلوا إلى القسطنطينية نفسها دون أن يقتحموها، كما سيطروا على أعالي الساحل السوري بعد أن احتلوا أنطاكية. وكانت وجهتهم الآن جنوبا، نحو بلاد الشام، فأخذوا بطريقهم أفاميا وحمص ودمشق، ومن هناك اتجهوا إلى الجليل في شمال فلسطين.

وقد أنعش اقتراب الفرس من فلسطين فكرة "الخلاص" اليهودية التي سوف تكون على أيدي الفرس، وهي التي كانت زرعت أول مرة (كما أشرنا إلى ذلك قبل) في الحكاية التي نسجت عن كورش وأمره بإعادة اليهود المنفيين إلى فلسطين وببناء "الهيكل". وقد اتصف انتعاش هذه الفكرة بـ"اهتياج مسياحي قوي" جرى التعبير عنه بكتابات عدة ظهرت في هذه الفترة تدور حول "الخلاص"[1]. وعلى هذا الأساس أسرع اليهود لاستقبال الغزاة الفرس ووضعوا أنفسهم في تصرفهم وتحت قيادتهم. ويصف المؤرخ الأرمني سيبيوس

---

(1) Shmuel Safrai, "The Era of Mishnah and Talmud 70-640", in H.H. Ben Sasson (ed.), *A History of the Jewish People* (George Weidenfled and Nicolson Ltd., 1976), p. 361.

Sebeos الذي كان معاصرا للحدث ما وقع آنذاك (مع دخول الفرس فلسطين) بقوله "إن بقايا الشعب اليهودي انتفضوا على المسيحيين وارتكبوا مذابح مدمرة في صفوف جماهير المؤمنين، واندفعوا باتجاه الفرس ووحدوا أنفسهم معهم"[١].

كانت ثمرة هذا التوحد الأولى احتلال الفرس منطقة الجليل بمساعدة اليهود[٢]. ومن هناك واصلوا زحفهم باتجاه الساحل فأخذوا قيسارية وتوجهوا جنوبا فاحتلوا أرسوف (أبولونيا Appolonia كما كانت تدعى)، ثم اتجهوا شرقا إلى اللد في الداخل ومنها إلى القدس التي وصلوها في آذار ٦١٤م.

ويظهر من التقارير التي كتبها معاصرون للحدث أن القدس كانت خالية آنذاك من أية قوة عسكرية بيزنطية، وكان سكانها خليطا من المدنيين وأعداد وافرة من الرهبان والراهبات. ولدينا روايتان لمعاصرين تبينان، مع اختلافات، كيفية احتلال الفرس المدينة. إحدى الروايتين، وقد أوردها سيبيوس[٣]، تذكر أن القائد الفارسي (شهربراز) عرض على أهالي القدس، عندما كان بعد في قيسارية، الاستسلام طواعية مقابل منحهم الأمان والسلام. وقد قبل السكان العرض، وطلبوا من القائد أن يعين لهم حاكما من جانبه، وقدموا هدايا لقادة

(1) *Sebeos' History*, translated from the Armenian language by Robert Bedrosian (New York, 1985, the electronic version as maintained on http://rbedrosian. com/seb8.htm), Chapter 24, p. 97.

(2) Safrai, *op .cit,* p. 361.

(3) *Sebeos' History*, chapter 24, p. 97.

الفرس وأمراء حربهم. غير أن الأهالي عادوا فانتفضوا على الحاكم الفارسي وقتلوه، فجرد عليهم شهربراز حملة عسكرية حاصرت المدينة واقتحمتها.

غير أن ثمة رواية أخرى مختلفة أوردها شاهد العيان انتيوخوس ستراتيجوس Antiochus Strategos وهو راهب مسيحي كان يعيش في دير سابا في القدس في أيام الغزو الفارسي لها. وقد سجل، في كتاب ألفه باليونانية، ما رأى بعينه.[1] يقول ستراتيجوس إن الفرس عندما اقتربوا من القدس عرضوا على سكانها التوصل إلى اتفاق استسلام. وقد قبل البطريرك زكريا، الذي كانت له سلطة الحاكم في المدينة، العرض بينما عارضه الرهبان ومن في القدس من سكان لأنهم رفضوا "إقامة سلام مع الأعداء". ويظهر من هذه الرواية أن خلافات حادة نشبت بن البطريرك والسكان في هذا الشأن، ووصلت إلى حد اتهام البطريرك بأن ما كان يعرضه إنما يقع في إطار الإثم. وقد أذعن البطريرك في النهاية لموقف السكان والرهبان، لكنه في الوقت نفسه حاول أن يشرك البيزنطيين في الدفاع عن المدينة، فأرسل رسولا من لدنه إلى الحامية العسكرية البيزنطية المقيمة في أريحا (إلى الشرق من القدس)، هو الراهب موديستوس Modestus

(1) Antiochus Strategos, *The Capture of Jerusalem by the Persians in 614 AD,* translated into English by F.C. Conybeare (*English Historical Review*, 25 (1910), pp. 502-517.

ترجم الكتاب في القرن الثامن إلى العربية، وإلى اللغة الجورجية في القرن العاشر. وقد نشرت أول ترجمة للكتاب في اللغة الإنجليزية في العام ١٩١٠.

يطلب منها النجدة. وقد نجح هذا الراهب في إقناع القوة البيزنطية التي كانت متمركزة هناك بمد يد العون للمحاصرين في القدس، فتوجهوا منها إلى المدينة، إلا أنهم عندما رأوا قوة الفرس وكثرتهم ولوا الأدبار عائدين من حيث أتوا دون أن يخوضوا معركة واحدة معهم، وقد تركوا خلفهم الراهب موديستوس نفسه الذي تسلل فيما بعد عائدا إلى أريحا.

بخلاف هذه المحاولة الوحيدة للقيام بعمل عسكري، وكانت محاولة فاشلة على كل حال، وجد أهل القدس، بسكانها المدنيين ورهبانها، أنفسَهم عزلا في مواجهة قوة عسكرية ضخمة تحاصر مدينتهم قوامها الجيش الفارسي الغازي المنتشي بانتصاراته التي كان قد سجلها ضد القوى البيزنطية على امتداد سنوات هذه الحرب، ومعه قوة يهودية عسكرية كانت قد زحفت معه منذ بدء عملياته في الجليل. ويصف لنا صفرونيوس[1] Sophronius (الذي أصبح فيما بعد بطريرك القدس) وكان يقيم آنذاك في دير القديس ثيودوسيوس Theodosius

---

[1] صفرونيوس عربي من دمشق. ترهبن وتنقل كثيرا ما بين مصر وروما وفلسطين. كان في أثناء الغزو الفارسي يقيم في دير قرب بيت لحم، وبعد أن سقطت القدس في أيدي الفرس غادر إلى مصر، ثم عاد إلى فلسطين، بعد أن هزم الفرس منها، وفي عام ٦٣٤م أصبح بطريركا للقدس، وهو الذي سلم المدينة صلحا للخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب بموجب ما يعرف بالعهدة العمرية أو عهد إيلياء (أحد أسماء القدس القديمة). وتوفي سنة ٦٣٧م. وقد ترك صفرونيوس عددا من الكتابات في اللاهوت المسيحي، كما كان شاعرا وقد احتفظ التاريخ بنصوص كثيرة من شعره، خاصة منها ما يتعلق برثائه مدينة القدس بعد سقوطها بيد الفرس واليهود.

بالقرب من بيت لحم، ما حدث في تلك اللحظة عندما بدأ حصار القدس بقوله:

"عندما واجه سكانُ المدينة ومن معهم من الأغراب من المستجدين بالله، الفرسَ وأصدقاءَهم العبريين، أسرعوا وغلقوا بوابات المدينة"[١].

استمر حصار القدس واحدا وعشرين يوما ما بين أواخر آذار ومطالع نيسان ٦١٤م[٢]. وفي أثناء ذلك تمكن الفرس من إحداث فجوات في أسوارها مكنتهم من دخولها هم ومن معهم من اليهود، الذين قدر عددهم بنحو من ٢٦ ألف مقاتل.

المجزرة

اقتحم الغزاة القدس لتنفذ، خلال ثلاثة أيام، مجزرة ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من سكانها المسيحيين. ويوجز سيبيوس وقائع هذه المجزرة بقوله[٣] إن الغزاة قتلوا سبعة وخمسين ألفا من السكان، بمن فيهم أعداد كبيرة من الرهبان، وأحرقوا كثيرا من

---

(1) Cited in: Safrai, *op .cit*, p. 3.

(٢) حول روايات مختلفة عن زمن الحصار وتاريخ سقوط القدس بيد الفرس انظر:

Alfred J. Butler, *The Arab Conquest of Egypt and the Last Thirty Years of the Roman Dominion* (Admant Media Corporation, 2005), pp. 61-62.

(3) *Sebeus' History*, Chapter 24, p. 97.

الأماكن في المدينة، واعتقلوا خمسة وثلاثين ألفا بمن فيهم البطريرك زكريا، وأجبروا الرهبان تحت التعذيب على إطلاعهم على المكان الذي كانت خشبة "الصليب الحقيقي"[١] مخبأة فيه فاستولوا عليه.

إزاء هذه الصورة المجملة يصف لنا ستراتيجوس ما حدث بتفصيل مستندا إلى ما رآه هو رؤية العين. يقول[٢] إنه بعد أن دخل الغزاة القدس أسرع الناس للاختباء في الكهوف والقنوات وخزانات المياه كما التجأت أعداد وفيرة منهم إلى الكنائس والأديرة طلبا للنجاة. إلا أن الغزاة لاحقوهم بالسيوف والسهام لا يفرقون بين رجل وامرأة، ولا بين كبير وطفل، ولا بين أناس عاديين ورجال دين. وبعد أن قتلوا منهم من قتلوا أمر قائدهم بتجميع من نجا منهم من القتل وفرز من بينهم من هم خبراء في صناعة البناء لكي يأخذهم أسرى إلى فارس، أما الآخرون فقد حجزهم أسرى في بركة ماميلا[٣]. وهنا في

---

(١) في التراث المسيحي أن "الصليب الحقيقي" هو بقايا الصليب الخشبي الذي صلب عليه السيد المسيح. وقد وجد هذا الصليب – حسب هذا التراث – عندما قامت الإمبراطورة هيلينا، أم الإمبراطور قسطنطين الذي كان أول من اعتنق المسيحية من أباطرة بيزنطة، بزيارة إلى فلسطين بين ٣٢٦ و٣٢٨م حيث أمرت ببناء عدد من الكنائس والمنشآت الخيرية هناك. وفي أثناء الحفر في موقع "قبر المسيح" عثر على هذا الصليب.

(2) Strategos, pp. 510-511.

(٣) جاءت ترجمتها في النص Mamel وهي تكتب عادة بالإنجليزية Mamilla وترد في الأدبيات العربية مأمن الله. وهي تقع غربي القدس على بعد مئات أمتار قليلة من باب الخليل.

هذا الموقع استكملت المجزرة في أبشع صورها وأكثرها وحشية. فقد اشترى اليهودُ من الفرس الأسرى المسيحيين وقاموا بذبحهم كما تذبح الشياه، وفق تعبير ستراتيجوس، وعندما انتهوا من هذه المهمة التفتوا إلى الكنائس فقاموا بإشعال النار فيها.

ويجمل ستراتيجوس نفسه هذه الكارثة التي حلت بأهالي القدس ونتائجها بقوله:

> "كم عدد تلك الأرواح التي هلكت من الجوع والعطش! وكم من الكهنة والرهبان قد ذبحوا بالسيف! وكم من الرضع قد سحقوا تحت الأقدام، أو هلكوا جوعا وعطشا، أو عانوا الخوف والرعب من العدو! وكم عدد العذارى اللواتي واجهن الموت على أيدي الأعداء لأنهن رفضن أن تنتهك أعراضهن! كم من الآباء قضوا وهم فوق أطفالهم! وكم عدد الناس الذين اشتراهم اليهود وذبحوهم وقد جاهروا باتباع المسيح! وكم عدد الآباء والأمهات والأطفال الذين اختبأوا في الخنادق والصهاريج فقضوا في الظلام ومن الجوع! وكم عدد أولئك الذي احتموا بكنيسة أناستازسيز [كنيسة القيامة] وكنيسة صهيون وغيرهما من الكنائس حيث تم ذبحهم والقضاء عليهم بالنار! من يستطيع أن يحصي العدد الجم من جثث أولئك الذين ذبحوا في القدس؟"

كان عدد القتلى في منطقة بركة ماميلا (مأمن الله) ٢٤,٥١٨ شخصا كما ذكر ستراتيجوس في إحصائه لعدد القتلى الإجمالي الذين سقطوا في المجزرة[1]. وقد استند في ذلك إلى ما قام به نفر من

---

(1) Strategos, pp. 515-516.

السكان ممن نجوا من المجزرة في البحث عن جثث القتلى لدفنهم، وكانت الجثث منتشرة في مختلف أنحاء المدينة، وقد بلغ عددها الإجمالي ٦٦,٥٠٩ جثة.

غير أن المؤرخ البيزنطي ثيوفانس Theophanes (المتوفى حوالي سنة ٨١٨م) يجعل عدد ضحايا المجزرة أعلى من هذا الرقم الذي أُثبته ستراتيجوس، ويحمل اليهود المسؤولية الكاملة عن المجزرة. يقول: "في هذا العام [٦١٤م] استولى الفرس في الحرب على فلسطين ومدينتها المقدسة. وقد قتلوا بأيدي اليهود كثيرا من سكانها، ويقول البعض إن عددهم بلغ تسعين ألفا. وكان اليهود كعادتهم يشترون المسيحيين ثم يقومون بقتلهم"[1].

ما بعد المجزرة

ساق الفرس آلاف الأسرى من القدس إلى عاصمتهم طيسفون، وكان في مقدمة الأسرى بطريرك المدينة زكريا. وأخذوا معهم خشبة "الصليب الحقيقي" وعهدوا بها إلى شيرين زوجة الملك الفارسي خسرو الثاني التي كانت مسيحية.

وقد خضعت القدس فترة، لا نعرف من مصادرنا طولها بالتأكيد، لسيطرة اليهود. وترى بعض المراجع أن هذه الفترة امتدت

(1) *The Chronicle of Theophanes*, translated by Harry Turtledove (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1982), p. 11.

ثلاث سنوات[1]، استنادا إلى "مصدر" قديم هو المعروف باسم كتاب زربابل Sefer Zerubbabel الذي يعتقد بأنه ألف في الفترة ما بين ٦٢٩ و٦٣٦م، أي في أثناء الحرب البزنطية الفارسية الكبرى. وهذا الكتاب[2] ينتمي إلى صنف الكتابات التي تتنبأ بنهاية العالم (apocalypse) وقد شحنه كاتبه المجهول بصنوف شتى من التنبؤات والغرائب والرموز والحكايات التي أراد منها أن تكون تاريخا. ومن ذلك أن اليهود حكموا القدس ثلاث سنوات بعد أن دخلوها مع الفرس وكانوا تحت زعامة نحميا بن هوشيل بن إفرايم بن يوسف Nehemiah ben Hushiel ben Ephraim ben Joseph، وبعدها سوف يقوم الملك الفارسي شيروي Seroy (كما يسميه الكتاب) بمهاجمة القدس وقتل نحميا واثني عشر رجلا من رفاقه الأتقياء، وليموت بعد ذلك الملك الفارسي.

غير أن هذه الحكاية التي انفرد بها "كتاب زربابل" لم تثبت تاريخيا، إذ لا نجد لها أثرا في أي من المصادر التاريخية القديمة التي وثقت للغزو الفارسي للقدس، وهي متعددة وكتبت معاصرة للحدث أو بعده بقليل. وهكذا فإن ما يمكن الاطمئنان إليه أن اليهود قد رتعوا في القدس وارتووا من دماء مواطنيها، وشفوا غليلهم من كنائسها وأديرتها فترة قصيرة قبل أن يعيد خسرو النظر فيما جرى

---

(1) Safrai, p. 362.

(٢) ترجمة الكتاب الكاملة إلى اللغة الإنجليزية يمكن مراجعتها على موقع جامعة نورث كارولينا North Carolina University Charlotte المعنون كما يلي:
http://uncc.edu

ويعود إلى كبجهم. وفي هذا يخبرنا سيبيوس أنه بعد أن وصل الأسرى المسيحيون إلى بلاد فارس أمر خسرو بمعاملتهم برحمة، وبأن تبنى لهم مدينة لكي يستقروا فيها، كما أصدر أمرا آخر بإخراج اليهود من القدس، وقد نفذ هذا الأمر فورا وبسرعة، كذلك عين الفرس موديستوس (الذي أشرنا إليه قبل) ليكون رئيس أساقفة في القدس[1].

إن هذا الموقف الذي اتخذه خسرو يمكن تفسيره من خلال فهم شخصية هذا الملك الفارسي. فقد عرف عنه تسامحه الديني تجاه مواطنيه المسيحيين، وقد انتشرت المسيحية في عهده في مناطق عدة كانت تحت حكمه خاصة في خوزستان وغرب فارس وشمال بلاد الرافدين[2]. وقد أطلق خسرو يد زوجته المسيحية شيرين في بناء كنائس في عاصمة ملكه، ويقول سيبيوس إنها كانت تغدق عليها وعلى رجالها المال الكثير. كذلك يذكر أن المسيحيين في عيد الفصح كانوا يؤمون بوابات قصر خسرو ويرتلون عندها الإنجيل، ويتلقون هدايا من الملك[3]. وغير ذلك فقد اتخذ خسرو، على الرغم من تمسكه بديانته المجوسية، راعيا مسيحيا له هو المعروف باسم سيرجيوس الشهيد Sergius the Martyr وكان ينسب إليه كثيرا من انتصاراته العسكرية[4]. وبجانب ذلك يخبرنا ستراتيجوس الذي كان هو من بين

---

(1) *Sebeos' History*, Chapter 24, p. 97.

(2) Kaveh Farrokh, *Shadows in the Desert; Ancient Persia at War* (Oxford: Osprey Publishing, 2007), p. 253.

(3) *Sebeos' History*, Chapter 4, p. 42.

(4) Farrokh, *op. cit*, p. 253.

الأسرى الذين نقلوا إلى بلاد فارس بأن شيرين طلبت من زوجها خسرو أن يسمح لها بإيواء البطريرك زكريا وعدد من المسيحيين الأسرى تختارهم هي في قصرها، وفردت لهم مكانا مريحا فيه وكانت تزودهم بالشموع والبخور وبكل ما كانوا يحتاجون إليه[1].

على هذه الخلفية يمكن الافتراض باطمئنان أن بشاعة الجريمة التي نفذها اليهود في القدس قد أثارت غضب المقربين من خسرو من المسيحيين فكان لذلك تأثيره الحاسم في الأمر الذي أصدره الملك بإخراج اليهود من المدينة ما يعني وقف المجزرة.

عودة البيزنطيين إلى القدس

بدءا من سنة ٦٢٤م انقلب مسار الحرب الفارسية ـ البيزنطية من موجة المكاسب التي كان قد حققها الفرس منذ سنة ٦٠٢م إلى خسائر فادحة لحقت بهم أمام الانتصارات التي حققتها الجيوش البيزنطية بقيادة الإمبراطور هرقل. وكانت الخسائر فادحة لدرجة أطاحت بخسرو الثاني الذي تعرض لمؤامرة دبرها عليه بعض قادته ورجال البلاط بالاتفاق مع ابنه قباذ انتهت بمقتله وتتويج الابن ملكا على عرش الفرس (٢٥ شباط ٦٢٨). وقد انتهت الحرب عمليا مع هذا التطور الجديد، وأيضا مع إرسال قباذ سفراء من لدنه إلى هرقل في القسطنطينية يعرض عليه السلام. وتبع ذلك إرسال وفد من القسطنطينية إلى طيسفون ليتفاوض على شروط السلام. وقد توصل

(1) Strategos, p. 514.

الطرفان إلى اتفاقية في هذا الشأن عرف من بنودها اثنان: أحدهما أن يخلي الفرس جميع المناطق التي كانت تابعة لبيزنطة، والآخر أن يسلم قباذ "الصليب الحقيقي" إلى هرقل[1] (الذي كان الفرس قد نقلوه إلى بلادهم عندما احتلوا القدس سنة ٦١٤م).

غير أن هذا الاتفاق لم ينفذ إذ توفي قباذ (في تشرين الثاني ٦٢٨م) بعد أشهر قليلة من التوصل إليه، وورثه في الحكم ابنه الطفل أردشير (كان عمره سبع سنوات وعرف بأردشير الثالث). وقد أثار هذا التدبير الجديد غضب القائد العسكري الشهير شهربراز (وكان آنذاك في الإسكندرية التي اتخذها مركزا لقيادته) وهو الذي كان قد حقق للفرس انتصاراتهم الكبيرة في سوريا، بما في ذلك احتلال القدس، ومصر، وكشف عن مطامعه بوراثة العرش الفارسي على حساب الملك الطفل. وقد استغل هرقل هذه الحالة فدخل في مفاوضات، من خلال الرسل، مع شهربراز عارضا عليه أن يدعمه في الاستيلاء على العرش مقابل أن ينفذ شهربراز الاتفاق الذي توصل إليه هرقل مع قباذ. وبالفعل توصل الطرفان إلى اتفاق بينهما في مطلع صيف ٦٢٩م تعهد هرقل بموجبه بأن يمد القائد الفارسي بما يحتاجه من قوات (للاستيلاء على عرش فارس)، وفي مقابل ذلك وعد شهربراز بأن يبحث ـ فور وصوله إلى طيسفون ـ عن "الصليب الحقيقي" ويسلمه إلى الإمبراطور هرقل، وأن يوقع مع

---

(1) James Howard-Johnston, "Heraclius' Persian Campaigns and the Revival of the East Roman Empire, 622-630", *War in History,* Vol. 16, Issue 1 (January 1999), p. 27.

الإمبراطور اتفاقية حول الحدود بين الدولتين بحيث تكون وفق ما يرغب هرقل[1].

وفي ضوء هذه الاتفاقية أخذت القوات الفارسية بالانسحاب من مصر في حزيران ٦٢٩م، ومن فلسطين وسوريا عموما. وفي مطلع سنة ٦٣٠ استولى شهربراز على العرش في طيسفون، واستقبل فور ذلك رجالا من خاصة هرقل وسلمهم "الصليب الحقيقي"، وقد أسرع هؤلاء به إلى الإمبراطور[2] الذي قرر أن يحمله إلى القدس في احتفال مهيب.

اتخذ هرقل طريقه إلى القدس مارا بطبرية (في شمال فلسطين) التي شهدت أحد أكثر حوادث التاريخ سخرية. فقد استقبل يهود المدينة، ومعهم آخرون من يهود الناصرة والجليل، هرقل بترحاب كبير وأغدقوا عليه الهدايا، كما استضافه أحد وجوه اليهود في المدينة، وهو المعروف باسم بنيامين، وكان فاحش الثراء، في بيته وتعهد بالإنفاق عليه وعلى رجال بلاطه ومن صحبه من جيشه من ماله الخاص. وقد طلب اليهود من هرقل أن يمنحهم الأمان وأن يعفو عنهم، وهذا ما فعله الإمبراطور إذ أصدر العفو مشفوعا بالقسم، وغادر بعد ذلك المدينة متوجها إلى القدس، وكان في رفقته بنيامين[3]،

---

(1) *Sebeos' History*, Chapter 28, p. 114.

(٢) نفسه، ص. ١١٥.

(3) Safrai, *op. cit*, p. 5.

وهو نفسه كان قد تزعم اليهود عندما اقتحموا القدس مع الفرس سنة ٦١٤م[١].

لم يكن هذا الذي فعله اليهود في طبرية مجرد مسعى منهم لحماية أنفسهم من انتقام المسيحيين منهم جراء الجرائم التي اقترفوها في فلسطين عامة والقدس خاصة، بل كان كذلك محاولة لنسج علاقة تحالف مع الإمبراطور البيزنطي تضمن لهم أن يجدوا لهم مكانا في القدس التي كان على وشك الوصول إليها، بعد أن خذلهم الفرس وأخرجوهم من المدينة في أعقاب المجازر التي ارتكبوها. وربما كانوا يتوقعون نجاح هذه المحاولة استنادا إلى حقيقة أن هرقل لم يكن قد اتخذ طوال عهده منذ أن اعتلى عرش القسطنطينية ما يدل على أنه معاد لليهود.

غير أن آمالهم أحبطت بعد وصول هرقل إلى القدس مباشرة في ٢١ آذار ٦٣١[٢]. فبعد إعادته "الصليب الحقيقي" إلى مكانه السابق

(1) Simon Dubnov, *History of the Jews from the Roman Empire to the Early Medieval Period*, translated by Moshe Spiegle (South Brunswick, New Jersey: Thomas Yoseloff, Publishers, 1968), p. 218.

(٢) ذكر في كثير من المراجع أن دخول هرقل القدس كان في ٢١ آذار ٦٢٩. غير أننا نرجح بقوة أن تكون السنة التي أثبتناها في المتن (٦٣١) هي السنة الصحيحة. فلم يكن هرقل في سنة ٦٢٩ قد تسلم "الصليب الحقيقي" الذي لم ينتقل إليه إلا بعد أن اعتلى شهربراز عرش فارس سنة ٦٣٠م، كما أثبتنا ذلك في المتن أعلاه. ويؤكد ستراتيجوس ما ذهبنا إليه بذكره أن دخول هرقل القدس كان بعد سبع عشرة سنة من استيلاء الفرس على المدينة الذي كان سنة ٦١٤، أي كان دخوله سنة ٦٣١.

في كنيسة قبر المسيح (وكان موديستوس الذي كنا قد أشرنا إليه قبل قد جدد بناءها) روى له السكان والرهبان أخبار المجازر التي ارتكبها اليهود في المدينة، وطالبوه بمعقابتهم على فعلتهم. وعندما امتنع هرقل عن ذلك لوهلة متحججا بكتاب الأمان الذي منحه لليهود وهو في طبرية، مشفوعا بالقسم، أفتى الرهبان بأن يرتبوا صياما عاما كفارة له على حنثه بالقسم الذي قطعه على نفسه لليهود[1].

وهكذا كان. فقد أصدر هرقل أوامر بقتل عدد من اليهود الذين كانت لهم يد في قتل المسيحيين في القدس وهدم كنائسهم، كما حاول أن يجبر عددا منهم على التخلي عن اليهودية واعتناق المسيحية (وكان بنيامين الذي قاد اليهود في المذبحة أحد هؤلاء)، كذلك أصدر أمرا بمنع اليهود من سكنى القدس[2].

وبهذا التطور اختتم هذا الفصل الدامي من تاريخ القدس بكل ما فيه من فواجع ومآسٍ لحقت بعشرات الآلاف من سكانها المسيحيين الذين تعرضوا لأفظع حرب إبادة جنس في تاريخهم على أيدي اليهود، دون أن نبرئ الفرس أيضا من هذه الفعلة.

---

(1) Safrai, p. 363.

(2) Dubnov, p. 218.

مؤامرة الصمت

نستعير عنوان هذا الجزء من دراستنا "مؤامرة الصمت" the conspiracy of silence من دراسة لإليوت هوروفيتز Elliott Horowitz، أستاذ التاريخ اليهودي في جامعة بار إيلان الإسرائيلية، الذي وصف بهذا التعبير "إنكار مشاركة اليهود في اقتراف جريمة مذبحة سنة ٦١٤"[١]. والدراسة التي سوف نعود إليها غير مرة هنا تبين أن كثيرا من المؤرخين والكتاب اليهود والإسرائيليين، مع أمثلة عديدة توردها، قد سعوا إلى طمس حقيقة مشاركة اليهود في مذبحة القدس وتبرئتهم ضمنيا من تبعات هذه الجريمة الفظيعة. وقد انتشر هذا التزييف في أوعية الكتابات التاريخية المختلفة التي تشمل الموسوعات، والدراسات التي تتخذ سمت البحث العلمي، والمؤلفات الموجهة إلى جمهور القراء العريض. وسندلل هنا ببعض أمثلة على هذا التزوير التاريخي الذي استهدف تبييض صفحة اليهود ودفع مسؤوليتهم عن المذابح التي اقترفوها.

نقرأ في الموسوعة اليهودية Jewish Encyclopedia التي نشرت مجلداتها، لأول مرة، تباعا من سنة ١٩٠١ إلى سنة ١٩٠٦ تحت مدخل Jerusalem (القدس) ما يلي[٢]:

---

(1) Elliott Horowitz, "The Vengeance of the Jews was Stronger than their Avarice: Modern Historian and the Persian Conquest of Jerusalem in 614", *Jewish Social Studies*, Vol. 4, Issue 2 (Winter 1998), p. 22.

(٢) اعتمدنا في مراجعة هذا المدخل والمدخل الآخر الذي سوف نورده في المتن أعلاه على نسخة الموسوعة اليهودية الإلكترونية كما يلي: www. Jewishencyclopedia.com

"في عام ٦١٤ هاجم خسرو الثاني الفارسي القدس. وقد روي في "حوليات باسكال"[1] Chronicon Paschale أنه كان يساعده أربعة وعشرون ألف يهودي. وفي زمن الإمبراطور موريس Maurice وقعت عدة زلازل في فلسطين، وقد تسببت إحداها في تدمير المبنى الذي أنشئ على موقع الهيكل. ويقال إن اليهود أُرسِلوا لبنائه. وفي سنة ٦٢٩ عقد هرقل صلحا مع شيرويه بن خسرو ودخل المدينة من جديد، وجدد مرسوم منع اليهود من السكنى في القدس".

وليس ثمة في هذا النص ما يشير إلى مذبحة ٦١٤م، فهو يخبرنا أن اليهود كانوا فقط يساعدون الفرس في هجمتهم على القدس ثم يتعمد نسيانهم بعد ذلك. أما تدمير أماكن العبادة المسيحية على أيدي اليهود، والتي رافقت المجزرة، فقد نسبها كاتب المدخل إلى فعل الزلازل التي حدثت في زمن الإمبراطور موريس الذي سبق هرقل في الجلوس على عرش القسطنطينية، فاليهود منها أبرياء إذ كانت من فعل الطبيعة. أما النص عن المرسوم الذي منع اليهود من السكنى في القدس فقد أراد كاتبه أن يوحي بأن هذا الإجراء الفظيع كان تعسفيا دون ذنب اقترفه اليهود.

غير أنه يرد في مدخل آخر في الموسوعة نفسها خبر عن المجزرة التي وقعت في القدس لكن مع التأكيد على تبرئة اليهود منها

---

(١) كتاب حوليات لمؤلف مجهول كتبه صاحبه في عهد الإمبراطور البيزنطي هرقل (بين ٦١٠ و٦٤١م). وتغطي الحوليات التاريخ من عهد آدم إلى سنة ٦٢٩م.

بشكل جلي وإلصاق التهمة بالفرس وحدهم. ففي مدخل عن انقراض الإمبراطورية البيزنطية تحت عنوان Byzantium Expire نقرأ أن شهربراز القائد الفارسي الذي افتتح القدس هو الذي قتل تسعين ألف شخص في المدينة.

ولم تختلف الموسوعة اليهودية الجديدة التي ظهرت في إسرائيل في العام ١٩٧١ باسم Encyclopaedia Judaica عن هذا الإصرار على تبرئة اليهود من دم مسيحيي القدس سنة ٦١٤م. ففي المدخل الخاص عن القدس في العهدين الروماني والبيزنطي نقرأ أن الفرس حاصروا القدس سنة ٦١٤ "بمساعدة حلفائهم اليهود". ثم يغيب ذكر اليهود بعد ذلك تماما، إذ يستطرد كاتب المدخل (وهو أفي – يوناه Avi-Yonah الذي كان آنذاك أستاذا في الجامعة العبرية في القدس) بالقول "إن أسوار المدينة صُدعت، وذُبح كثير من السكان، وسيق البطريرك زكريا و'الصليب الحقيقي'" إلى المنفى. ولا يخبرنا هذا الأستاذ مَن ذبح مَن، ويصمت تماما عن عدد الضحايا الذين سقطوا في هذه المذبحة.

وغير الأعمال الموسوعية زورت الكتابات المتخصصة في التاريخ اليهودي حقيقة ما جرى في القدس. ففي العام ١٩٣٥ صدر كتاب ضخم عن تاريخ اليهود في فلسطين من زمن التلمود حتى تاريخ الصهيونية الحديث من تأليف صمويل كلاين Samuel Klein الذي كان حينذاك أستاذا في الجامعة العبرية في القدس، وكان من قبل حاخاما في البوسنة وسلوفاكيا على مدى عشرين عاما. وعلى الرغم من ضخامة هذا العمل فليس هناك ذكر ألبتة للاحتلال الفارسي للقدس

سنة ٦١٤ بكل تفاصيله، كما يغيب تماما عن هذا الكتاب أي إشارة إلى الأعمال العنيفة التي تعرض لها المسيحيون في المدينة. ويبدو أن هذا الغياب كان ملفتا للنظر ومحرجا لهذا الأستاذ الجامعي، إذ أعلن بعد أربع سنوات من نشر كتابه أنه في صدد نشر بحث عن مشاركة اليهود في احتلال القدس، إلا أن هذه الدراسة لم تر النور قط[١].

ونأخذ مثلا آخر عن هذه الكتابات التاريخية بما كتبه شمويل سفراي Shmuel Safrai أستاذ التاريخ في الجامعة العبرية (كان يتمتع بلقب أستاذ شرف) عما حدث في القدس سنة ٦١٤ (وقد أشرنا إليه قبل في هذه الدراسة غير مرة). يستهل الكتابة[٢] بالاستشهاد بما كتبه المؤرخ سيبيوس عن تعاون اليهود مع الفرس، ويكتفي من سيبيوس بذلك فقط إذ يسقط تماما ما ذكره هذا المؤرخ عن الجرائم التي ارتكبها اليهود في فلسطين. وينتقل بعد ذلك إلى القول بأن "القوات اليهودية شاركت [الفرس] في فتح القدس" سنة ٦١٤. لكنه يصمت تماما عما حدث في أثناء ذلك الفتح من مجازر، إذ يقفز مباشرة إلى القول "بأن الفرس سلموا المدينة لليهود الذين باشروا بطرد المسيحيين وإزالة كنائسهم". وفي هذا لم يرَ سفراي نقطة دم واحدة سالت على أرض القدس، وكان كل ما فعله اليهود أنهم طردوا المسيحيين، ولا يعلمنا أستاذ التاريخ هذا كيف فعل اليهود ذلك وما هي الوسائل التي استخدموها لتنفيذ هذا الفعل.

---

(1) Horowitz, *op. cit*, pp. 12-13.

(2) Safrai, *op. cit*, pp. 361-362.

ويبدو أن أساتذة الجامعة العبرية جميعا قد انخرطوا في "مؤامرة الصمت" هذه، وكان منهم بنزيون دينور Benzion Dinur أحد أساتذة الجامعة الأكثر شهرة، وقد شغل قبل (بين ١٩٥١ و١٩٥٥) منصب وزير التعليم في حكومة ديفد بن غوريون. في الكتاب الذي أصدره دينور في العام ١٩٦٦بعنوان *The Jews in Their Land* يروي لنا دور اليهود في حوادث سنة ٦١٤ كما يلي:

> "يبدو أنهم ساعدوا بشكل كبير في فتح [القدس]، وقد حاربوا في صفوف الفرس ضمن كتائب خاصة... وعلى مدى ثلاث سنوات كان من الواضح أنهم سيطروا سيطرة كاملة على القدس إذ تم كبح المسيحيين المتمردين بحزم، وحكم على العديد من المرتدين بالموت باعتبارهم كفارا"[1].

ومرة أخرى لم يلحظ دينور في تقريره هذا نقطة دم مسيحية واحدة جرت على أرض القدس، إذ إن كل ما فعله اليهود في حق المسيحيين أنهم كبحوهم بحزم.

وفي العام نفسه (١٩٦٦) ظهر في المكتبات كتاب آخر لأستاذ من الجامعة العبرية ذاتها بعنوان Jerusalem: Past and Present يخيم الصمت الرهيب على مؤلفه نفتالي أربيل Naftali Arbel حين يأتي على ذكر حادثة القدس سنة ٦١٤، فهو يلخص هذه الحادثة بأقل عدد من الكلمات كما يلي "استولى خسرو على القدس

---

(1) Horowitz, *op. cit*, p. 19.

وسويت كثير من مبانيها الجميلة بالأرض"[1]. هكذا دون خسائر في الأرواح، مع تأكيد أن ما دمر لم يكن كنائس وإنما "مبان جميلة".

و"مؤامرة الصمت" هذه لم تكن منحصرة فقط في أساتذة الجامعة العبرية، الذين بينا أعلاه بعض نماذج قليلة منهم، بل شاركت في دائرتها شخصيات كانت لها مكانة في مؤسسات "الدولة" في إسرائيل. من ذلك اثنان اشتركا في إصدار كتاب سنة ١٩٦٨ بعنوان *Jerusalem: Sacred City of Mankind* وهما تيدي كوليك Teddy Kollek أول رئيس لبلدية القدس بعد ضم شطرها الشرقي إلى شطرها الغربي بعد الاحتلال عام ١٩٦٧، وموشيه بيرلمان Moshe Pearlman مدير الإذاعة الإسرائيلية. ولم يزد ما خصصه هذان في كتابهما عديد الصفحات (نحو من ٣٠٠ صفحة) لحوادث ٦١٤ الدامية عن كلمات معدودات: "مع الاستيلاء على القدس قتل العديد من المسيحيين ودمرت كنائس وخربت"[2]. هكذا بهذه الصيغة التي تشبه صيغ البيانات الرسمية (ربما بحكم منصبي المؤلفين الرسميين) يظل المجرم الذي قتل هؤلاء المسيحيين مجهولا، ومثله يبقى ذلك الذي دمر الكنائس وخربها متواريا عن الأنظار.

غير أنه في كتابات إسرائيلية أخرى يقبض على المجرم متلبسا بجريمته، ولكنه بالتأكيد ليس يهوديا. ذلك ما يؤكده لنا يوسي

---

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(2) Teddy Kollek and Moshe Pearlman, *Jerusalem: Sacred City of Mankind* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1968), p. 152.

ناجـــار Yossi Naggar، عـــالم الأنثروبوجيـــا فـــي ســـلطة الآثـــار الإسرائيلية، في بحث له عن بقايا الهياكـــل العظميـــة التـــي وجـــدت فـــي موقع ماميلا (مأمن الله) الذي شـــهد كبـــرى المجـــازر التـــي نحـــن فـــي صددها هنا، والذي دفن فيه نحو من أربعة وعـــشرين ألفـــا مـــن ضـــحايا المجزرة. في مقدمة بحثه يتطـــوع هـــذا العـــالم بإخبارنـــا بـــأن "الجـــيش الفارسي ذبح في عـــام ٦١٤ الـــسكان المـــسيحيين ــ البيـــزنطيين"[1]، فـــدم هؤلاء القتلى إذن في رقبة الفرس لا اليهود.

وأغرب من ذلك أن توضع مسؤولية هـــذه الجريمـــة علـــى عـــاتق المسيحيين أنفسهم إذ قتل بعضهم بعضا آنذاك. وقد جاء ذلـــك فـــي كتـــاب صدر فـــي العـــام ١٩٦٥ بعنـــوان Short History of Christianity in the Holy Land من تأليف شـــاول كـــولبي Shaul Colbi الـــذي كـــان آنـــذاك يشغل منصب رئيس الدائرة المسيحية فـــي وزارة الـــشؤون الدينيـــة فـــي إسرائيل. يوجز لنا كولبي[2] ما حدث سنة ٦١٤ بأنه مـــع الفـــتح الفارســـي للقدس "لاقى معظـــم ســـكانها المـــسيحيين المـــوت واحترقـــت الكنـــائس". وليس لنا أن نعـــرف مـــن هـــذا المـــوجز، الـــذي تجاهـــل دور اليهـــود المتحالفين مع الفرس في هذا الفتح، مـــن هـــم الـــذين قتلـــوا المـــسيحيين وأحرقوا كنائسهم. غير أن المؤلف يشفق على قرائه مـــن أن يبقـــوا علـــى

---

(1) Yossi Naggar, "Human Skeletal Remains from the Mamilla Cave, Jerusalem".

وقد حمل هذا البحث ســـنة ٢٠٠٠ علـــى موقـــع ســـلطة الآثـــار الإســـرائيلية www. antiquities. org. il

(2) Horowitz, *op. cit*, p. 18.

جهل بما حدث، فيستطرد ليخبرهم بأن المسيحيين المؤمنين بمذهب الطبيعة الواحدة للمسيح[1] كانوا يكنون كراهية عميقة لإخوانهم المسيحيين من الذين يعتقدون بالأرثوذكسية[2]، والذين كانوا يضطهدونهم، فدفعهم هذا الحقد والرغبة في الانتقام إلى أن ينضموا بشكل واضح إلى الفرس.

وبذلك يرى كولبي أن الشركاء الوحيدين للفرس في المذبحة التي جرت في القدس كانوا بشكل أساسي من هؤلاء الحاقدين من أتباع المذهب القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح. وكانت رسالة كولبي إلى قرائه تقول بأن الغلبة العددية بين مسيحيي فارس كانت لأتباع المذهب القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح، فكان أن انضم هؤلاء إلى الجيش الفارسي ليكونوا شركاء لهم في المجزرة، التي ذهب ضحيتها أتباع الاعتقاد بطبيعتين للمسيح، والذين كانوا يمثلون أغلبية بين مسيحيي فلسطين. فالمسألة إذن عند كولبي واضحة: مسيحيون قتلوا مسيحيين، فما دخل اليهود في ذلك؟

---

(١) القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح Monophysite Christians يذهبون إلى أن المسيح ذو طبيعة واحدة فهو إنسان وإله في وقت واحد وأن طبيعته الإنسانية استوعبت في الطبيعة الإلهية.

(٢) الأرثوذوكسية يعرفون أيضا في التاريخ المسيحي بأنهم أتباع المذهب القائل بطبيعتين للمسيح Dyophysite Christians وهو الذي تبلور في مجمع خلقدونيا الكنسي Council of Chalcedon سنة ٤٥١م. وأصحاب هذا المذهب يعتقدون بأن للمسيح طبيعتين: واحدة إلهية وأخرى إنسانية.

شهادة من علم الآثار

أظهرت التنقيبات الأثرية التي أجريت في القدس ومحيطها حجم الجريمة البشعة التي تعرض لها السكان في القدس عام ٦١٤م، إذ كشفت هذه التنقيبات عن وجود مقابر جماعية ضمت آلاف الهياكل البشرية التي أجريت عليها دراسات علمية أكدت أنها تعود إلى تلك الفترة ما يعزز الروايات النصية القديمة عن حجم المجزرة، خاصة رواية راهب دير مار سابا ستراتيجوس، الذي عدنا إليه غير مرة هنا، وهو كان شاهد عيان على المجزرة وسجل وقائعها بالتفصيل.

وقد سجل ستراتيجوس في تقريره عن هذه الحادثة خمسة وثلاثين موقعا مختلفا في القدس تم دفن القتلى فيها أمكن التعرف من خلال التنقيبات الأثرية الحديثة على ستة منها. وقد نشر جدعون آفني Gideon Avni الباحث في سلطة الآثار الإسرائيلية حديثا دراسة تفصيلية عن هذه المواقع الستة التي ضمت قبورا جماعية[1]، نلخصها كما يلي:

إن أكبر هذه المقابر الجماعية هي تلك الموجودة في منطقة مأمن الله (ماميلا) التي تقع على بعد نحو من ١٢٠ مترا إلى الغرب من باب الخليل (ويسمى أيضا بوابة يافا). وأحد هذه المقابر كهف محفور في الصخر على شكل مستطيل يبلغ طوله ١٢ مترا وعرضه

(1) Gideon Avni, "The Persian Conquest of Jerusalem 614 C.E: An Archaeological Assessment", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research,* Issue 357 (February 2010), pp. 35-48.

ثلاثة أمتار تتكدس فيه أكوام من العظام البشرية ومئات من الهياكل العظمية. وقد بنيت أمام هذا الكهف كنيسة صغيرة (٦×٣ أمتار)، كما نصبت لوحة حجرية قرب مدخل الكهف/ المقبرة كتب عليها دعاء "لخلاص أرواح هؤلاء الذين لا يعلم أسماءهم إلا الله". وفي المنطقة نفسها (مأمن الله) وعلى بعد نحو من ٣٠٠ متر إلى الشمال من ذلك الكهف تم الكشف عن أربعة خنادق عميقة على مساحة تبلغ ١٠,٥×٨ أمتار تتكدس فيها أكوام من العظام البشرية. ونستذكر هنا ما ذكرناه سابقا أن هذه المنطقة شهدت أكثر فصول المجزرة وحشية عندما قتل اليهود أكثر من أربعة وعشرين ألفا من المسيحيين حسب شهادة ستراتيجوس.

المنطقة الثانية التي تم اكتشاف مقابر جماعية فيها تقع إلى الجنوب من باب الخليل وعلى بعد ثلاثين مترا إلى الغرب من سور المدينة القديمة. فقد وجدت طبقة كثيفة من العظام البشرية، تعود إلى ما يقدر بما بين ٣٠٠ و ٥٠٠ إنسان، متراكمة في خزان ماء جاف.

والمنطقة الثالثة تقع في محيط المقبرة البروتستانتية داخل الأسوار، حيث اكتشفت فيها طبقة كثيفة من العظام البشرية تبلغ سماكتها نصف متر وعلى مساحة تبلغ ١٢×٢٠مترا.

والمنطقة الرابعة تقع تحت المقبرة الأرثوذكسية داخل الأسوار أيضا، حيث اكتشف فيها كهف محفور في الصخر طوله ٣٥ مترا وعرضه ١٩ مترا تتراكم على أرضه أكداس من العظام البشرية.

والمنطقة الخامسة تقع على بعد ٤٠ مترا شمال باب العمود حيث اكتشف فيها ١٥ قبرا عموديا تتراكم فيها العظام البشرية بسماكة مترين ونصف المتر.

وأخيرا، غير بعيد عن هذا الموقع، وقريبا من باب العمود أيضا، تم الكشف عن بناء مستطيل (٧,٥×١٥ مترا) مقسم إلى عدد من الغرف التي وجد على أرضياتها أكثر من ١٠٠ هيكل عظمي بالإضافة إلى أكداس أخرى من العظام البشرية تراكم بعضها فوق بعض.

وقد نال الكهف/ المقبرة في منطقة مأمن الله (ماميلا) الذي أشرنا إليه أعلاه اهتماما خاصا من جانب الباحثين، بسبب كثرة بقايا الهياكل العظمية فيه، ولكونه يعد "المقبرة الرئيسية" التي ضمت جثث من قتلوا في مجزرة ٦١٤م. وفي هذا، أجرى الباحث الأنثروبوجي في سلطة الآثار الإسرائيلية يوسي ناجار Yossi Nagar دراسة أنثروبولوجية[1] على عينة شملت ٥٢٦ هيكلا عظميا من جملة آلاف الهياكل التي تعرف عليها الباحث في الكهف. ومن النتائج المثيرة التي توصلت إليها هذه الدراسة أن عدد الإناث في العينة كان أعلى بكثير من عدد الذكور، إذ كانت النسبة مئة أنثى إلى ٣٨ ذكرا، وهي

---

(1) Yossi Nagar, Human Skeletal Remains from the Mamilla Cave, Jerusalem.

وقد حُمّل هذا البحث سنة ٢٠٠٠ على موقع سلطة الآثار الإسرائيلية www. antiquities. org. il

نسبة لا تنطبق بأي شكل على المعادلة الديموغرافية المعروفة التي يتساوى فيها (بشكل تقريبي) عدد الذكور وعدد الإناث لدى السكان. وقد فسر الباحث هذه النسبة المختلة باحتمال أن يكون الرجال قد قضوا في القتال، بينما سيقت الإناث إلى الذبح في منطقة مأمن الله ودُفِنّ فيها.

خاتمة

مقاتل المسيحيين إبادة جنس بلغة المصطلحات الحديثة

في أثناء الحرب العالمية الثانية أضيف إلى معجم المفردات السياسية مصطلح جديد باللفظة الإنجليزية genocide، الذي يترجم عادة إلى اللغة العربية بمصطلحي الإبادة الجماعية وإبادة الجنس. وقد ابتدع هذا المصطلح الباحث القانوني البولندي رفائيل لمكين Raphael Lemkin في كتاب له عن حكم دول المحور (ألمانيا النازية وحلفائها) في الأقطار الأوروبية التي احتلتها في الحرب العالمية الثانية. وصدر الكتاب أول مرة في العام ١٩٤٤ عن مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي في الولايات المتحدة الأميركية. وقد نحت لمكين[1] كلمة genocide من لفظتين: genos من اليونانية القديمة التي تعني الجنس أو القبيلة، وcide من اللاتينية التي تعني القتل. كذلك استخدم مصطلح ethnocide مرادفا لذلك المصطلح حيث ethnos اليونانية تعني الأمة، ومن هنا جاء تعبيرنا العربي "إبادة الجنس".

---

(1) Raphael Lemkin, *Axis Rule in Occupied Europe: Laws of Occupation- Analysis of Government Proposals for Redress* (Clark, New Jersey: The Lawbook Exchange, Ltd, 2005, first published by Carnegie Endowment for International Peace, 1944), p. 79.

ويوضح لمكين، في تعريفه المصطلح، أن الإبادة الجماعية لا تعني بالضرورة تدميرا كاملا لأمة، بل تدل على مخطط منسق من أفعال مختلفة تستهدف تدمير قواعد الحياة الأساسية لمجموعة قومية بهدف محقها. ويتوخى هذا المخطط تفسيخ المؤسسات السياسية والاجتماعية للمجموعة القومية وثقافتها ولغتها ومشاعرها القومية ودينها ووجودها الاقتصادي، كذلك تدمير أمن الأفراد المنتمين إلى هذه المجموعة وحريتهم وصحتهم وكرامتهم وأيضا حياتهم. والإبادة الجماعية بذلك تستهدف المجموعة القومية من حيث هي كيان، بينما الأفعال المشمولة فيها تستهدف الأفراد ليس بصفتهم الفردية بل من حيث هم أعضاء في المجموعة القومية.

وقد دخل هذا المصطلح القاموس الدولي رسميا بقرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم ٢٦٠ (أ) ٣ الذي اتخذته في التاسع من كانون الأول ١٩٤٧ والقاضي بإنشاء معاهدة لمنع جرائم الإبادة الجماعية ومعاقبتها[1]، وهي التي وضعت موضع التنفيذ ابتداء من الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٥١. وقد عرّفت المادة الثانية من هذه المعاهدة الإبادة الجماعية بأنها

> "تعني أيا من الأعمال التالية التي ترتكب بقصد تدمير أي جماعة عرقية أو جنسية أو دينية، أكان كاملا أم جزئيا، مثل: (أ) قتل أعضاء هذه الجماعة، (ب) إلحاق ضرر خطير جسدي أو عقلي بأعضاء الجماعة، (ج) إلحاق أذى بشكل متعمد بالأوضاع الحياتية للجماعة

(1) Convention on the Prevention and Punishment of the Crime of Genocide.

مقصود منه أن يؤدي إلى تدميرها كليا أو جزئيا، (د) نقل أطفال جماعة إلى جماعة أخرى بالقوة".

وقد شاع المصطلح وكثر استخدامه (مع تنويعات مختلفة في تفسيره ودلالاته ومشتقات كثيرة منه) ليستخدم وصفا لحالات من القتل الجماعي شهدتها مناطق عديدة في العالم بعد الحرب العالمية الثانية، كما استخدم بأثر رجعي ليصف أعمال قتل من هذا النوع حدثت في التاريخ السابق لابتداع هذا المصطلح، ووجد المؤرخون الذين كتبوا عنها أنها تقع تحت تصنيف الإبادة الجماعية أو إبادة الجنس.

وما أوردناه من حوادث تعرض فيها المسيحيون لأصناف من القتل والتعذيب والاضطهاد على أيدي اليهود لا يمكن تصنيفها إلا تحت هذا العنوان العريض "الإبادة الجماعية" أو "إبادة الجنس"[١].

---

[1] فصول أخرى عن إبادة الجنس أو الإبادة الجماعية في التاريخ اليهودي بالإضافة إلى ما هو ماثل في المشروع الصهيوني مفصلة في كتابنا: **الجريمة المقدسة: الإبادة الجماعية من ايديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني** (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢).

- *The Syriac Chronicle known as that of Zacharia of Mitylene.* translated into English by F.J. Hamilton and E.W. Brooks, London: Methuen & Co., 1899.

- Teppler, Yaakov Y.; Birkat haMinim: *Jews and Christian in Conflict in the Ancient World.* trans. by Susan Weingarten, Tubingen, Germany: Mohr Siebeck, 2007.

- Tobi, Yosef: *The Jews of Yemen: Studies in their History and Culture.* Leiden: Brill, 1999.


ملاحق الكتاب

ملحق (١)
الحارث بن كعب
زعيم مسيحيي نجران
عند وقوع المحرقة

ظهر الحارث بن كعب في مصادرنا مع وقوع المجازر في جنوب الجزيرة العربية. ولا نعلم من هذه المصادر شيئا عنه قبل ذلك، سوى ما قالته إنه كان زعيم المسيحيين في نجران، وإنه كان في الخامسة والسبعين من عمره آنذاك. ويظهر لنا من النص الذي سوف يرد هنا بعد قليل أنه كان محاربا وخاض عددا من الحروب لا نعرف في الحقيقة شيئا عنها، إلا ما أخبرنا هو نفسه في هذا النص عن أن إحداها كانت مع ابن عم للملك "ذو نواس" وأنه قتله. ويبدو لنا من إحدى القرائن أن تلك الحادثة كانت قد وقعت في موجة الاضطهادات الأولى التي نفذها اليهود ضد المسيحيين (حوالي سنة ٥١٩م) التي سبقت هذه المجازر التي نحن في صددها، وانتهت بغزو الأحباش لليمن (كنا قد أشرنا إليها قبل). وتتمثل هذه القرينة في أن إحدى من تعرضن للتعذيب وبالتالي للقتل بأمر من "ذو نواس"، والتي يسميها مصدرنا حبصة بنت حيان، فاخرت هذا الملك بأن أباها كان قد أحرق كنيسا لليهود[١]، ما يشير إلى أن حملة الاضطهادات تلك لم تمر دون مقاومة من جانب المسيحيين، وبالتالي ليس من المستبعد أن

(1) *The Book of the Himyarites*, p. CXXII.

يكون الحارث بن كعب قد شارك في المقاومة وقتل ابن عم "ذو نواس" في إحدى المواجهات.

اتخذ الحارث بن كعب موقفا متشددا تجاه "ذو نواس"، وقد أظهرنا قبل كيف أنه حاول إقناع سكان نجران بعدم الاستسلام للملك اليهودي عندما حاصر المدينة ومقاومته، لكن تلك المحاولة باءت بالفشل. وكانت ردة فعل "ذو نواس" على ذلك الموقف رهيبا. فبعد أن سيطر على نجران، من خلال المحرقة التي نفذها فيها، بعث من ساق إليه الحارث إلى حيث كان في معسكره خارج أسوار المدينة، وسعى إلى إذلاله بأن جرده من ملابسه وتركه عاريا أمام جماعته التي سيقت معه إلى "ذي نواس"، وحاول معه بمختلف الوسائل أن يجعله يتخلى عن مسيحيته ويعتنق اليهودية. وعندما ووجه بالموقف المتصلب الذي اتخذه الحارث أمر بقتله بضرب عنقه. وقد تركت لنا مصادرنا وصفا لهذا اللقاء الذي كان بين الرجلين كما يلي[1]:

قال "ذو نواس": "انظر كيف تقف عاريا أمام أولئك الذين كانوا يعتبرونك زعيما لهم فيلحقك الخزي أمامهم وأنت في هذا العمر الكبير".

وكان جواب الحارث: "لو كنت حقيقة ترى الملابس التي علي ما كنت لتقول ما قلته لي. لكن لأنك لم ترها فتتخيل أنني أقف عاريا. الحق أقول لك، لقد عظمت نفسي في هذه اللحظة في عيني ولا يخجلني عري جسدي. لأن المسيح يعلم أنني أنقى منك في الباطن

---

(١) **رسالة سمعان الأرشمي من الجابية**، ص ص. ٥٠-٥١.

والظاهر، وأنني أكثر طولا منك، وأكثر لياقـــة، وأن جـــسمي أقـــوى مـــن جسمك، وذراعي أشد من ذراعك. ولن تجد علـــى ظهـــري أثـــرا لـــضربة حربة أو سهم أو سيف بل تجده علـــى صـــدري، لأننـــي لـــم أدر ظهـــري في حرب كما يفعل أي هـــارب. وقـــد انتـــصرت علـــى مـــدى ســـنوات عديدة بقوة المسيح، وقد قتلت في إحدى الحروب أخـــا الـــذي يجلـــس إلـــى يمينك وهو ابن عمك".

وقد رد عليه الملك بالقول: "لقد كان هـــذا إذن هـــو مـــا اعتمـــدت عليه فتمردت علي. وأنا أنصحك أن تتنكـــر للمـــسيح لتنقـــذ شـــيخوختك. تنكر لذلك المسيح المخادع ولصليبه وســـوف تعـــيش. أمـــا إن لـــم تفعـــل فسوف تموت ميتة شنيعة، أنـــت ورفاقـــك وجميـــع الـــذين لـــن يتنكـــروا للمسيح وصليبه".

فأجاب الحارث: "ألا تتـــذكر أنـــك أقـــسمت لنـــا بـــرب إبـــراهيم وإسحاق وإسرائيل، وبتوراتك والألواح وتابوت العهد؟"

قال الملك: "دع عنك ذا، وتنكر للمسيح وصليبه".

قال الحارث: ""أنا حزين حقـــا لرفـــاقي المـــسيحيين الـــذين كـــانوا معي في المدينة لأني نصحتهم دون أن يـــصغوا إلـــي. ذلـــك أنـــي كنـــت على استعداد للخروج إليك لأقاتلـــك فـــي ســـبيل أمـــة المـــسيح فإمـــا أن تقتلني أو أقتلك، وكانت ثقتـــي بمـــولاي المـــسيح بـــأني هازمـــك، إلا أن رفاقي منعوني من الخروج. كـــذلك طلبـــت أن أقـــود أســـرتي وعبيـــدي وأخرج بهم لمهاجمتك، إلا أن رفاقي المـــسيحيين غلقـــوا دونـــي الأبـــواب ومنعوني من الخروج. كذلك أخبـــرتهم أن يحرســـوا المدينـــة وألا يفتحـــوا

لك الأبواب، وكانت ثقتي بمولاي المسيح أن المدينة لن تخضع لك لأنها لا ينقصها شيء. ولم يصغِ إليّ رفاقي المسيحيون في ذلك أيضا. وعندما أرسلت أنت لهم تعهداتك مشفوعة بالأيمان نصحتهم بألا يصدقوك، وقلت لهم إنك كاذب والصدق بعيد عنك، إلا أن رفاقي لم يقتنعوا بالاستماع إلي.

والآن تخبرني، وأنا في شيخوختي، بأن أتنكر للمسيح وأصبح يهوديا مثلك، وربما لا أعيش ساعة واحدة ولا يوما واحدا بعد أن أكون قد تلفظت بتنكري للمسيح، ومع هذا فأنت تريد أن تصرفني عن المسيح في شيخوختي هذه.

إنك في الحقيقة لم تتكلم كملك ولم تتصرف كملك، لأن الملك الذي يكذب ليس ملكا. وقد رأيت من قبل ملوكا عديدين ولكن لم أر ملوكا كذبة.

إنني الآن سيد نفسي ولن أخلف بوعدي للمسيح، فما أبعدني من التنكر للمسيح.

ملحق (٢)

رُهم بنت أزمع

أبرز من قتَلَ ذو نواس

من مسيحيات نجران

تورد الترجمات الإنجليزية لـ"كتاب الحميريين" ورسائل سمعان الأرشمي الاسم برسم Ruhm . وقد ضبطه بالعربية مترجم الكتاب ومحرره برسم "رُهْم"[١]. بينما يكتبه عرفان شهيد في كل مرة يرد في ترجمته لـ"رسالة سمعان الأرشمي من الجابية" بلفظة Ruhaima لكن مع إبقاء لفظة Ruhm بين قوسين، ما يوحي بترجيحه اللفظة الأولى. ونرانا نميل إلى أن "رُهْم" هي اللفظة الأصح، إذ كان هذا الاسم معروفا عند العرب بشهادة ابن دريد في "جمهرة اللغة" وابن منظور في "لسان العرب" على أنه "اسم امرأة". والكلمة جمع "رِهْمة" وهي المطر الضعيف الدائم الصغير القطر (كما في لسان العرب)، أو الدفعة اللينة من المطر (كما عند ابن دريد). فهي إذن رُهم بنت أزمع، ويدل الاسم على أنها عربية.

ورهم من نجران. ويعلمنا كتاب الحميريين بأنها كانت امرأة ثرية ومن أكثر الناس إحسانا بأموالها، ومن أجمل النساء وجها، ومن أشرف الناس محتدا، حتى إنها عندما ألقي القبض عليها في نجران

(1) Moberg, p. XCVII.

وأحضرت أمام "ذو نواس" الذي عـرض عليهـا تزويجهـا بأحـد رجالـه العظام عايرته بأنه هو، وهو الملك، ليس ندا لهـا فـي الـزواج. وكانـت تمت بصلة قربى للحارث بن كعب، زعيم المسيحيين في نجران.

قتل زوجها في جملة من قتـل فـي محرقـة نجـران، وشـهدت مذبحة النساء التي أعقبت ذلك (وقد أشـرنا إليهـا قبـل)، وبعـد مـرور ثلاثة أيام على تلك المجزرة أرسل لها "ذو نـواس" مـن يـساومها (وذاك اعتراف منه بمكانتهـا فـي المدينـة) علـى أن تتخلـى عـن المـسيحية وتعتنق اليهودية، وفي المقابل يبقي على حياتهـا ومـا كانـت عليـه مـن رفعة شأن ويزوجها بأحـد رجالـه العظـام. رفـضت رهـم المـساومة وأبلغت رسول الملك بتمسكها بدينها فألقي القـبض عليهـا وسـيقت إلـى حيث كان "ذو نواس" في معـسكره قـرب نجـران، حيـث أعلنـت لـه التزامها بمسيحيتها واحتقارها له ليهوديته مـن جهـة، ولقتلـه المـسيحيين من جهة أخرى، ولأنه أيضا غير كفؤ لها في شرفها فـلا يـصلح زوجـا لها فكيف بمن عرضه عليها من رجاله. وقـد أمـر "ذو نـواس" بتعـذيبها هي وبناتها اللواتي ألقي القبض عليهن معهـا، وقـد قـتلهن فـي مـشهد منها، ثم أمر بقتلها بقطع رأسها[1].

وكانت رُهم وهي تقاد إلى "ذو نواس" قـد أسـفرت عـن وجههـا وقد تجمع حولها الكثير من نساء نجران، فألقـت فـيهن خطبـة احتفظـت مصادرنا بنصها كما يلي:

---

(1) *The Book of the Himyarites*, p. CXVIII.

يا نساء نجران ورفيقاتي المسيحيات واليهوديات والوثنيات استمعن إلي. أنتن تعلمن أنني مسيحية، وتعلمن أيضا عن نسبي وعائلتي ومن أكون، وأنني أمتلك ذهبا وفضة وعبيدا وإماء وغلالا من الحقول، ولا ينقصني شيء.

والآن وقد قتل زوجي في سبيل المسيح فإنني إن أردت الزواج من آخر فلن أفتقد زوجا. وأنا هنا الآن لأقول لكنّ هذا اليوم إنني أمتلك أربعين ألف دينار أحتفظ بها في خزائني بمعزل عن خزائن زوجي، كذلك أمتلك جواهر ولآلئ وبينكن من رأينها هن وبناتهن في بيتي.

وأنتن تعلمن يا رفيقاتي أن ليس للمرأة أيام فرح يمكن أن تقارن بيوم زفافها، إذ تأتي الأحزان والتأوهات بعد يوم الزفاف وذلك عندما تلد أبناءها بكرب ونواح، ثم عندما تحرم منهم فتعاني الألم والكآبة، وبعدها عندما تدفن أبناءها فتبكي وتنوح. غير أني قد حررت نفسي من اليوم فصاعدا من جميع هذه الهموم وذلك بأن أواصل ما كان عليه فرحي في أيام زفافي الأولى. وهاهن بناتي الثلاث العذارى اللواتي لم يخطبهن الرجال، لقد زينتهن من أجل المسيح.

انظرن إلي. لقد رأيتن وجهي مرتين: في زفافي والآن هذه هي المرة الثانية. لقد كنت سافرة الوجه عندما ذهبت لأول مرة إلى زوجي، والآن أسفر عن وجهي وأنا ذاهبة إلى مولاي المسيح ومولى بناتي مثلما فعل هو عندما قدم نفسه إلينا. انظرن إلي وإلى بناتي لأنني لست أقل جمالا من أي منكن. والآن بجمالي هذا أنا ذاهبة لمولاي

المسيح دون أن يشوهني كفر اليهود، وسوف يشهد جمالي هذا أمام مولاي أن ذلك [الكفر] عجز عن أن يحرفني إلى خطيئة التنكر لمولاي. كما أن ذهبي وفضتي وجميع مجوهرات الزينة التي بحوزتي وعبيدي وجواريّ، وكل ما أملك سوف يكون ذلك شاهدا علي بأن حب ذلك كله لم يجعلني أتنكر للمسيح.

والآن لقد بعث إلي الملك بكلام بأن أتنكر للمسيح وبذلك أحيا، ولكني رددت عليه بأنني إذا تنكرت للمسيح فإنني سوف أموت، لكن إذا لم أتنكر له فسوف أحيا. ما أبعدني، يا رفيقاتي، من التنكر للمسيح، فقد آمنت به هو نفسه، وعُمدت باسمه، كما عُمدت بناتي، وهو من أتزين بصليبه، وفي سبيله أموت أنا وبناتي مثلما مات هو من أجلنا.

انظرن! إن ذهب الأرض وفير، ومن شاء أن يأخذ ذهبي فليفعل، ومن شاء أن يأخذ جواهري فليأخذها، لأنني وبإرادتي الحرة قد تخليت عن كل شيء لكي أذهب وأنال من مولاي الجزاء.

مباركات أنتن يا رفيقاتي إن استمعتن لكلماتي. مباركات أنتن يا رفيقاتي إن علمتن الصدق الذي من أجله سوف أموت أنا وبناتي. مباركات أنتن يا رفيقاتي إن أحببتن المسيح. ومباركة أنا وبناتي لأننا راحلات إلى مثل هذه القداسة.

من الآن فصاعدا سوف يسود السلام والسكينة أمة المسيح. أما دماء إخواني وأخواتي الذين قتلوا من أجل المسيح فسوف تكون

سورا [يحمي] هذه المدينة [نجران] إن أخلصت بإيمان لمولاي المسيح.

انظرن كيف أنني خارجة سافرة الوجه من مدينتكن التي عشت فيها حياة مؤقتة، بينما أنا وبناتي نرتحل الآن إلى ذلك المكان الذي اخترت أن يخطبهن.

ادعين لي يا رفيقاتي أن يتقبلني مولاي المسيح ويغفر لي أن بقيت ثلاثة أيام بعد أن قتل والد بناتي.

ملحق (٣)

مجزرة القدس
كما وصفها شاهد العيان
أنتيوخوس ستراتيجوس[1]

كانت بداية قتال الفرس لمسيحيي أورشليم في الخامس عشر من نيسان (إبريل) في السنة الرابعة من حكم الإمبراطور هرقل، وقد استمر القتال عشرين يوما، وكانوا [الفرس] يطلقون منجنيقاتهم بعنف إلى أن تمكنوا من تقويض سور المدينة. وبذلك، دخلها الأعداء الأشرار بضراوة بالغة وكانوا مثل وحوش برية حانقة وأفاعٍ ساخطة. ونتيجة لذلك هرب الرجال الذين كانوا يدافعون على سور المدينة واختبأوا في الكهوف والخنادق وخزانات المياه طلبا لحماية أنفسهم، كما التجأت جموع غفيرة من الناس إلى الكنائس، وهناك قام الفرس بالفتك بهم. لقد دخل الأعداء بغضب بالغ، وكانوا يجأرون كوحوش برية شريرة ويزمجرون كالأسود ويصدر عنهم فحيح كفحيح الثعابين الضارية، وقاموا بذبح كل من وجدوه أمامهم. كانوا يمزقون

---

[1]Antiochus Strategos, "The Capture of Jerusalem by the Persians in 614 AD", translated into English by F.C. Conyreare, *English Historical Review*, 25 (1910), pp. 502-517.

واستراتيجوس راهب مسيحي كان يقيم في ديرسابا قرب القدس أيام الغزو الفارسي لها، وقد ألف كتابه عن الاستيلاء على القدس باليونانية، وترجم إلى الإنجليزية في العام ١٩١٠. والنص في المتن أعلاه هو مقتبسات من هذه الترجمة.

بأسنانهم، وكأنهم كلاب مسعورة، المؤمنين دون أن يولوا احتراما لأحد أكان ذكرا أم أنثى، شابا أم عجوزا، طفلا أم رضيعا، راهبا أم ناسكا، عذراء أم أرملة.

وفي أثناء ذلك، تسابق الفرس الأشرار الخالية قلوبهم من الشفقة إلى كل مكان في المدينة وأخذوا يستأصلون الناس. وكانوا يمسكون بكل من يهرب من وجههم مرعوبا. أما إذا صرخ أحدهم من الخوف فكانوا يزمجرون في وجهه ويحطمون أسنانه لإجباره على السكوت. لقد ذبحوا رضّعا لطافا وألقوا بهم على الأرض ثم صرخوا يستدعون أباءهم. وعندما كان الآباء ينوحون على أطفالهم ويعولون وينشجون كانوا يقتلونهم معهم. أما من كان يُمسَك به ومعه سلاح فكانوا يذبحونه بسلاحه نفسه، بينما كانوا يرمون بسهامهم أجساد من كان يسرع بالهرب منهم، ويذبحون المسالمين دون رحمة.

لم يصغوا إلى استغاثة المتضرعين، ولم يشفقوا على جمال الشباب ولا على سن المعمرين، ولم يخجلوا من تواضع رجال الدين، بل كانوا يستأصلون الناس من جميع الأعمار ويذبحونهم كذبح الحيوانات ويحصدونهم بلا استثناء، حتى تجرع الجميع كأس المرارة.

لقد عمت المناحات والرعب أورشليم، فقد أحرقت الكنائس بالنار وهدمت كنائس أخرى، وقلبت حواجز المذابح في الكنائس رأسا على عقب، وديست الصلبان المقدسة بالأقدام، وبصقوا على الأيقونات، ثم وجهوا غضبهم نحو القسيسين والشمامسة وذبحوهم في كنائسهم كما تذبح الحيوانات [...].

وعندما تراخى سخط الفرس أمر قائدهم المسى رازمي أوزدان أن يخرج منادون يعلنون [للمسيحيين] بالقول: "اخرجوا جميعا من مخابئكم، ولا تخشوا شيئا لأن السيف رفع عنكم وأنا منحتكم الأمان". وعندما سمع هؤلاء بذلك خرجت جموع كثيرة ممن كانوا يختبئون في الخنادق والكهوف، مع أن كثيرا منهم كانوا قد قضوا نحبهم بسبب الظلام والجوع والعطش [...] وعندما خرج هؤلاء من مخابئهم جمعهم القائد وأخذ يسألهم عما يعرفون من حرفة البناء، ثم أخذ الفرس يصنفونهم منفردين حسب حرفهم، وأمر [القائد] بأن يفرز منهم من هم مهرة في هندسة البناء ليأخذهم أسرى إلى فارس، أما بقية الناس فقد أُمسِكوا وأُغلِقت عليهم خزانات المياه في ماميل [مأمن الله] وأوكل القائد لخفراء بأن يقوموا بحراستهم [...].

وعندما رأى اليهود الفاسدون أعداء الصدق ومبغضو المسيح أن المسيحيين سقطوا في أيدي الأعداء ابتهجوا ابتهاجا عظيما لأنهم يبغضون المسيحيين، ووضعوا خطة شريرة تتماشى مع فسادهم، فهم كانوا في نظر الفرس ذوي أهمية عظيمة لأنهم خانوا المسيحيين. وهكذا في هذه المناسبة اقترب اليهود من حافة الخزان الذي كان المسيحيون فيه وأخذوا يقولون لهم: "إذا أردتم أن تنجوا من الموت فكونوا يهودا وتنكروا للمسيح، ونحن سوف نفتديكم بأموالنا وأنتم سوف تستفيدون منا". إلا أن خطتهم لم تنجح وباءت جهدهم بالعبث، لأن أبناء الكنيسة المقدسة فضلوا الموت في سبيل المسيح على العيش الخالي من الإيمان بالله [...].

وعندما تيقن اليهود الأنجاس من صمود المسيحيين ومن إيمانهم الثابت انتابهم الهياج كوحوش شريرة وحبكوا خطة أخرى. فتماما مثلما

اشتروا المسيح قديما بالفضة اشتروا المسيحيين الذين في الخزان بالفضة أيضا. فقد دفعوا فضة للفرس مقابل كل مسيحي يسلم إليهم وكانوا يقومون بذبحه كما تذبح الأغنام [...].

ثم بعد أن سيق الناس أسرى إلى فارس وتُرك اليهود في أورشليم أخذوا يهدمون ويحرقون بأيديهم جميع الكنائس المقدسة التي لم تكن قد هدمت.

كم عدد تلك الأرواح التي هلكت من الجوع والعطش! وكم من الكهنة والرهبان قد ذبحوا بالسيف! وكم من الرضع قد سحقوا تحت الأقدام، أو هلكوا جوعا وعطشا، أو عانوا الخوف والرعب من العدو! وكم عدد العذارى اللواتي واجهن الموت على أيدي الأعداء لأنهن رفضن أن تنتهك أعراضهن! كم من الآباء قضوا وهم فوق أطفالهم! وكم عدد الناس الذين اشتراهم اليهود وذبحوهم وقد جاهروا باتباع المسيح! وكم عدد الآباء والأمهات والأطفال الذين اختبأوا في الخنادق والصهاريج فقضوا في الظلام ومن الجوع! وكم عدد أولئك الذي احتموا بكنيسة أناستازسيز [كنيسة القيامة] وكنيسة صهيون وغيرهما من الكنائس، حيث تم ذبحهم والقضاء عليهم بالنار! من يستطيع أن يحصي العدد الجم من جثث أولئك الذين ذبحوا في القدس؟

كشف المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

ـ الكتاب المقدس، أي العهد القديم والعهد الجديد، وقد ترجم من اللغات الأصلية. دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، دت.

- *Soncino Babylonian Talmud.* Translated into English with notes, glossary and indices under the editorship of Rabbi Dr. I. Epstein, London: the London Press, nd, as maintained on: www.Halakhah.com

***

ـ ابن الأثير، عز الدين؛ **الكامل في التاريخ**. بيروت: دار صادر، ١٩٧٩.

ـ الأصفهاني، حمزة بن الحسن؛ **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام**. بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت، باعتماد طبعة مطبعة كاوياني في برلين المأخوذة عن الأصل الذي حققه جوتوالد سنة ١٨٤٤.

ـ الحميري، نشوان؛ **خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة**. نسخة الوراق الألكترونية.

ـ ابن حوقل، أبو القاسم؛ **كتاب صورة الأرض**. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩.

ـ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر؛ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، تاريخ مقدمة المحقق ١٩٦٨.

ـ سخنيني، عصام؛ "أبناء الفرس المسلمون في اليمن: نموذج دراسي لسمة الاستيعاب الأقوامي في الحضارة العربية ـ الإسلامية". مجلة **المنارة للبحوث والدراسات** (جامعة آل البيت)، المجلد الثالث عشر، العدد السابع، أيلول ٢٠٠٧.

ـ ـــــــــــــــ؛ **عهد إيلياء والشروط العمرية: نموذج تطبيقي لاستخدام أدوات التفكيك في تصحيح التاريخ الإسلامي**. عمان: دار المناهج، ٢٠٠١.

ـ ـــــــــــــــ؛ **فلسطين والفلسطينيون: صيرورة تكوين الاسم والوطن والشعب والهوية**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣.

ـ ـــــــــــــــ؛ **القدس: تاريخ مختطف وآثار مزورة**. عمان: اللجنة الملكية لشؤون القدس، ٢٠٠٩.

ـ ابن سعيد الأندلسي؛ **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**. تحقيق نصرت عبد الرحمن، عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٢.

ـ السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور؛ **الأنساب**. تحقيق وتعليق عبد الله عمر البارودي، بيروت: دار الجنان، ١٩٨٨.

ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير؛ **تاريخ الأمم والملوك ـ تاريخ الطبري**. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٥.

ـ ابن العبري، أبو الفرج؛ **تاريخ مختصر الدول**. تحقيق أنطون صالحاني، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٣.

ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين؛ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. الطبعة الخامسة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ١٩٧٣.

ـ مصطفى، شاكر؛ **التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام**. ط. ٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩.

ـ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك؛ **سيرة النبي صلى الله عليه وسلم**. طنطا: دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، ١٩٩٥.

ـ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر، ١٩٧٧.

ـ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب؛ **تاريخ اليعقوبي**. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٠.

- Alexander, Philip S.; "The Parting of the Ways from Perspective of Rabbinic Judaism". in James D.G. Dunn (editor), *Jews and Christians: The Parting of Ways A.D. 70 to 135*. Grand Rapids, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing Company, 1999.

- Avni, Gideon; "The Persian Conquest of Jerusalem 614 C.E: An Archaeological Assessment". *Bulletin of the American Schools of Oriental Research,* Issue 357 (February 2010).

- Barfi, Barak and Yael Katzir; "Jews in Yemen". *Encyclopedia of the Jewish Diaspora: Origins, Experiences and Culture.* Santa Barbara: ABC-Clio. LLS, 2009.

- *The Book of the Himyarites: Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work.* edited with introduction and translation by Axel Moberg, Oxford University Press, 1924.

- Boustan, Ra'anan S; *Violence, Scripture and Textual Practice in Early Judaism and Christianity.* Leiden: Brill, 2010.

- Browning, Robert; *Justinian and Theodora.* Gorias Press, 2003

- Butler, Alban; *The Lives of the Fathers, Martyrs and Other Principal Saints.* Dublin: James Duffy, 1866, published April 2010 by Bartleby.com.

- Butler, Alfred J.; *The Arab Conquest of Egypt and the Last Thirty Years of the Roman Dominion.* Admant Media Corporation, 2005.

- Chistides, Vassilios; "The Himyarite-Ethiopian War and the Ethiopian Occupation of South Arabia in the Acts of Gregentius, ca. 530 A.D". *Annales d'Ethiopie*, Year 1972, Volume 9, Issue 9.

- Crown, Alan David; *The Samaritans*. Tubingen: J.C.b. Mohn, 1989.

- *The Chronicle of Theophanes*. translated by Harry Turtledove, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1982.

- De Ste. Croix, G.E.M.; *The Class Struggle in the Ancient Greek World from the Archaic Age to the Arab Conquest.* London: Duckworth, 1981.

- Dubnov, Simon; *History of the Jews from the Roman Empire to the Early Medieval Period*. translated by Moshe Spiegle, South Brunswick, New Jersey: Thomas Yoseloff, Publishers, 1968.

- *Ecclesiastical History of Eusebius Pamphilius (c. 265-339 AD) Bishop of Cesarea in Palestine written in A.D 325*. as maintained on servers; www.peterstarchive.com and www.ccel.org.

- *The Ecclesiastical History of Sozomen: Comprising a History of the Church, from AD 323 to AD 425*. translated from Greek and revised by Chester D. Hermias, the electronic version maintained on www. Freewebs.com/vitaphone 1/ history/sozomen.html.

- Fage, J.D. with William Tordoff; *A History of Africa*. 4th Edition, New York: Rutledge, 2002.

- Farrokh, Kaveh; *Shadows in the Desert; Ancient Persia at War*. Oxford: Osprey Publishing, 2007.

- Flannery, Edward H.; *Twenty-three Centuries of Antisemitism: The Anguish of the Jews*. Mahawa, New Jersey: Paulist Press, 2004.

- Goldstein, Miriam; "Judeo-Arabic Version of Toledot Yeshu", *Ginzet Qedem*, Vol. 6 (2010).

- Grillmeier, Aloys; *Christ in Christian Tradition: Vol. 2, Part Four – The Church of Alexandria with Nubia and Ethiopia after 451*. Translated by O,C. Dean, Louisville: Westminster John Knox Press. 1996.

- Hilberg, Raul; *The Destruction of the European Jews*. Chicago, 1961.

- Horowitz, Elliott; "The Vengeance of the Jews was Stronger than their Avarice: Modern Historian and the Persian Conquest of Jerusalem in 614". *Jewish Social Studies*, Vol. 4, Issue 2, (Winter 1998).

- Howard-Johnston, James; "Heraclius' Persian Campaigns and the Revival of the East Roman Empire, 622-630". *War in History,* Vol. 16, Issue 1 (January 1999).

- Josephus, Flavius; The *Antiquities of the Jews*. Translated by William Whitson.

- Justin Martyr, *First Apology*. translated by Marcus Dods and George Reith, Buffalo, NY: Christian Literature Publishing co., 1885, as maintained on server www.schutt.org

- Kitchen, K.A.; *Documentation for Ancient Arabia: Part I – Chronological and Historical Sources*. Liverpool: Liverpool University Press, 1994.

- Kollek, Teddy; and Moshe Pearlman; *Jerusalem: Sacred City of Mankind*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1968.

- Lemkin, Raphael; *Axis Rule in Occupied Europe: Laws of Occupation- Analysis of Government Proposals for Redress*. Clark, New Jersey: The Lawbook Exchange, Ltd, 2005, first published by Carnegie Endowment for International Peace, 1944.

- Lloyd Jones, Gareth; "Sacred Violence: The Dark Side of God". *Journal of Beliefs and Values*, Vol. 20, No. 2 (1999).

- Mendelssohn, Sidney; *The Jews of Asia*. BiblioLife, LLC.

- Milman, Henry Hart; *The History of Jews from the Earliest Period to the Present Time*. New York: J&J Harper, 1832.

- Naggar, Yossi; "Human Skeletal Remains from the Mamilla Cave, Jerusalem". Maintained on www. antiquities. org. il (2000).

- Neusner, Jacob; *A History of the Jews in Babylonia: The Age of Shapur II*. Leiden: E.J. Brill, 1969.

- Parkes, James; *The Conflict of the Church and Synagogue: A Study in the Origins of Anti-Semitism*. Second Printing, Cleveland and New York: Meridian Books, 1964.

- Porter, H.; "Gentiles". *International Standard Bible Encyclopedia*. as maintained on: www.bible-history.com

- Procopius; *History of the Wars: Books I and II.* translated into English by H.B. Dewing, London: William Heinemann and New York: The Macmillan Co., MCMXIV.

- Safrai, Shmuel; "The Era of Mishnah and Talmud 70-640". in H.H. Ben Sasson (ed.), *A History of the Jewish People.* George Weidenfled and Nicolson Ltd., 1976.

- Sartre, Jean-Paul; *Anti-Semite and Jew.* trans. G.J. Becker, New York, 1948.
وكان الكتاب قد صدر بالفرنسية سنة ١٩٤٦ بعنوان: *Reflexions sur la question juive* (تأملات في المسألة اليهودية).

- Schafer, Peter; *Jesus in the Talmud.* Princeton University Press, 2007.

- *Sebeos' History.* translated from the Armenian language by Robert Bedrosian, New York, 1985, the electronic version as mantained on http://rbedrosian. com/seb8.htm.

- Shahid, Irfan; "Byzantino-Arabica: The Conference of Ramla, A.D. 524". *Journal of Near Eastern Studies*, Vol. 23, No. 2 (April, 1964).

- ____________; *The Martyrs of Najran: New Documents.* Bruxelles: Societe des Bollandistes, 1971.

- Stobert, James William H.; *Islam and its Founder.* Braithwaite Press, 2008.

- Strategos, Antiochus; "The Capture of Jerusalem by the Persians in 614 AD". translated into English by F.C. Conybeare, *English Historical Review*, 25 (1910)

THE CHRISTIAN HOLOCAUST
NAJRAN 523 CE , JERUSALEM 614 CE



مقاتل المسيحيين

نجران ٥٢٣م والقدس ٦١٤م

يتحدث الكتاب عن «مقاتل» المسيحيين في العصور الأولى، وبخاصة على أيدي اليهود الذين لم يستسيغوا أن تنشأ ديانة جديدة تشكّل تهديداً لوجودهم. وهكذا مشبعين بعقلية رفض الآخر والرغبة بإلغاء الآخر وإفنائه، عمدوا إلى قتل «المعمدين» والتنكيل بهم في كل من نجران... وصولاً إلى مدينة القدس الشريف، وهي مركز الديانة المسيحية، وأم الكنائس جميعها، التي شهدت كذلك شتى أصناف التنكيل والمحارق.

تتبعت الكتاب بنهم الجائع والعَطِش إلى معرفة الجذور ليس فقط للمسيحية وإنما أيضاً للعربية. وليس هناك من تناقض في الفخر ما بين كون الإنسان عربياً وكونه مسيحياً في آن واحد. وهو أمر لربما يشكّل رسالة تعزية وتشجيع إلى مسيحيي اليوم الذين ما زالوا في المشرق العربي يضربون مثلاً تلو المثل في العيش المشترك مع إخوتهم المسلمين، مهما تعرضوا له أحياناً من أعمال تهجير على أيدي اليهود ذاتهم، كما في القدس وسائر القرى والمدن الفلسطينية، أو كذلك على أيدي أفراد وفئات تعادي المجتمع ككل، وتلبس رداء الدين وهو منها براء.

الأب رفعت بدر



